الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف لميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

صورة الحيوان في شعر الصعاليك

دراسة موازنة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة .ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

اعداد الطلبة

خضراء نعمون

نجاة حجاج

تحت اشراف الأستاذ

عبد الحفيظ بورايو

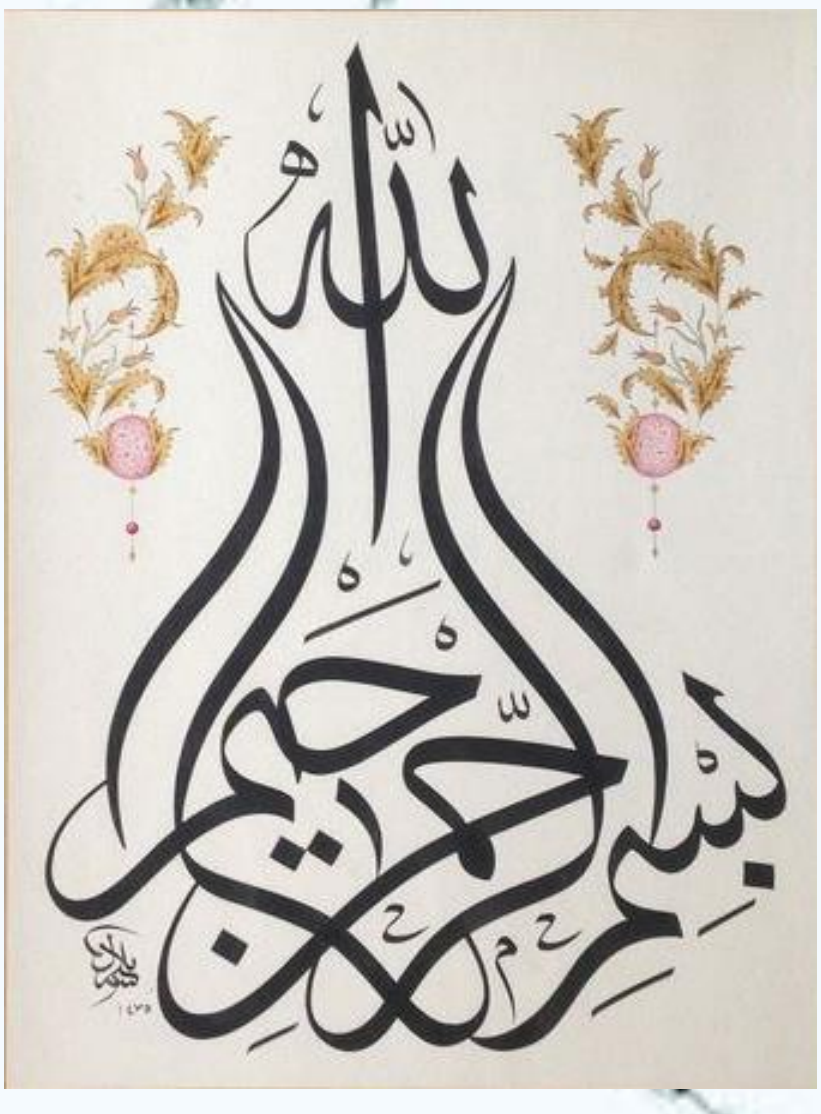
بسم الله الرحمن الرحيم

الشكـــــر و التقديـــر

لا يسعنا ونحن نقدم هذا المجهود إلا أن نشكر الله وحده على توفيقه .

ويطيب لنا في هذا المقام أن نقدم شكرنا و عرفاننا و تقديرنا للأستاذ الفاضل الدكتور **بورايو عبد الحفيظ** الذي منحنا جل وقته وجهده طوال فترة إشرافه على هذه المذكرة فنصحنا و أرشدنا ووجهنا ،فله منا فإق الإحترام و التقدير ما حييت .

كما نتقدم بالشكر و التقدير لأعضاء لجنة المناقشة الموقرين ، على تفضلهم بقبول منا قشة هذه المذكرة و تحملهم عناء قراءتها و مراجعتها و تصحيح أخطائها ، و إيداء آرائهم و ملاحظاتهم التي سيكون لها الدور الأكبر في إثراء هذا العمل و إخراجه على أسحن وجه .

بعد إنهاء هذا العمل المتواضع نهدي و نولي تشكراتنا إلى كل من وقف بجانبنا من قريب أو من بعيد ، و تشكر كل من ساعدنا بورقة أو بقلب أو بكلمة تشجيع .

خضراء نسمون

اهداء

بسم المعبود المحمود ، بسم التحية إذا كانت التحية شعار الإيمان ، بسم الإيمان إذا كان من القرآن ، بسم القرآن إذا كان من عند الرحمان الحمد لله الذي وفقني و سر خطايا ، و أنعم علي الصحة حيث نلت مبتغايا و قطفت ثمار جهدي بكل فخر و اعتزاز و بكل تواضع و إمتنان .

تحية حلوة المنال عديمة الزوال يضرب بها الامثال إلى كل من إسمها عال و شرفها عال و ذكرهما باقي والدي الكريمين أطال الله في عمرهما .

إلى التي غذتني الصدف في حليبها و الفاء في حديثها و النقاء في معاملتها إلى من حملتني و بكل شيء ضحت و رعتني إلى من وهبت عطفها أمي العزيزة"يامينة جامع" .

إلى من زرع في نفسي مكارم الأخلاق وحب العمل و أمدني بالثقة إلى من أراد رؤية نجاحي إلى شمعة طلت مشتعلة لأكمل مشواري إلا من شق لشقائي و تحمل عناء الحياة لأجلي إلى من أعطاني درسا للحياة و عمني أن أعتمد على الذات إلى أبي الغالي"علي" .

إلى حشاشة كبدي و عصارة قلبي و أجمل ما يترقف في صدري إلى ساندي و داعمي إلى أخي الوحيد " عبد الغاني وزجته وردة " .

إلى من تعلمت معنى الحياة و مبادئها و اعتبرتهن قدوى لي و مثلي الأعلى في الحياة أخواتي " رشا و زوجها رفيق ،كنزة و زوجها حمزة ، ربيحة ، هدى وزوجها جواد".

إلى الإشراقة العاطفية الغير منقطعة و الشمعة المضيئة و البسمات البريئة التي تسكن منزلنا "محمد سيف الدين ، أحمد ، شعيب ، جبير ،جهينة " .

إلى من كان لي صديق و أخ و حبيب و زوج الذي أنار لي حياتي و ساندني إلى

قرة عين زوجي "محمد مرزوق"

نجاة محتاج

اهداء

إلى صاحب السيرة العطرة والفكر المستنير فلقد كان له الفضل الأول في بلوغي التعليم العالي(والدي الحبيب) أطال الله في عمره

إلى من وضعتني على طريق الحياة وجعلتني ربط الجأش وراعتني حتى صرت كبيرة (امي الغالية) أطال الله في عمرها

إلى اخوتي من كان لهم بالغ الأثر في كثير من العقبات والصعاب

إلى صديقاتي اللواتي مضيت معهم أجمل أيام حياتي

والى من دخل حياتي فأشعل النور فيها وبعث فيا حب الحياة

مقدمة

مقـــــدمـــــــــة :

إن شعر الصعاليك في العصر الجاهلي شديد القرب إلى جوهر الفن ، فهو شعر ولد في لحظات توتر حادة من جماعة تعيش بطبيعة تكوينها على حافة المجتمع ، و لعلى السر في ذلك أن الصعاليك في القديم كانوا جماعة من الفتيان الشجعان المتمردين على تقاليد القبائل و العيش فيها ، فتمردوا على النظم الاجتماعية السائدة ، ومن ثم فقد اختطوا لأنفسهم طرائق في العيش مختلفة عن طريقة الجماعة، و كانوا في معيشتهم أكثر قربا من الطبيعة ومن كائناتها الحية ، فاتخذوا بذلك الحيوانات رفيقة الدرب في الحياة الموحشة ، حيث كان للحيوان وجود متكامل في شعرهم ، فهم لم يخصصوا الوصف الخارجي فقط بل تناولوا جانبا داخليا مليئا بالعجائب و الأسرار ، وذلك ينعكس عن الحالة النفسية للشاعر وما يعيشه في حياة التمرد ، ولأن الشعراء الصعاليك كثيرون ،فقد ركزنا على ثمانية شعراء تطرقوا في كثير من الأحيان إلى وصف الحيوان .

ونقد الموازنة من أكثر الدراسات التي تبرز أوجه التشابه بين الشعراء، و التي تهدف إلى إلقاء الضوء عليهم ، وهذه الدراسات تستعمل على ابراز تقدير الوعي الشعري لدى الشعراء من خلال عملها على ربط مشاهد اللوحة و احداثها في وصف الحيوان ، وهذا العمل يشكل الشق الثاني من هذه الدراسة و هو جانب مهم بين أصالة الشعراء ودقة نظرهم في اختيار المشاهد ووضع لبنات النص في بناء متماسك محكم .

- ✓ وهذا ما دفعنا لطرح عدة تساؤلات تمحورت حول ما مدى تأثير هذه الدراسة على شعر الصعاليك ؟
- ✓ و ماهي أبرز الدوافع التي تفرد بها هذا الشعر عن غيره من الشعر الجاهلي ؟
- ✓ وما هي أهم الصفات التي تناولها الشعراء الصعاليك في وصف الحيوان ؟

وإذا جئنا إلى الحديث عن الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع فإننا نشير إلى أنها قليلة بعض الشيء لأن شعر الصعاليك أغلبه و خاصة في وصف الحيوان لم يكن مدونا منه إلا قليل ، لذا جاءت الدراسات قليلة ، قلة الشعر ذاته ، ومن الدراسات السابقة للموضوع ، الدراسة التي قام بها الباحث الدكتور يوسف خليف بعنوان " الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي " .

و لعل أهم سبب دفعنا لإختيار هذا الموضوع " وصف الحيوان في الشعر الصعاليك دراسة موازنة " راجع إلى قلة العناية بهذا النوع من الشعر مقارنة بالدراسات الأخرى التي تناولت وصف الحيوان في الشعر الجاهلي ، فحاولنا تسليط الضوء على وصف الحيوان في شعر الصعاليك لما له من قيم اجتماعية وخلقية .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع استخدام المنهج الوصفي التحليلي ، و تطلبت الدراسة تقسيم البحث إلى مدخل و فصلين وخاتمة ، **فالمدخل** تحدثنا فيه عن مفهوم الصعلكة في اللغة و الاصطلاح وعن الشعراء الصعاليك أسمائهم و أخبارهم ، و أغراض شعر الصعاليك ،أما**الفصل الأول** تحدثنا فيه عن شعر الصعاليك حتى قسمناه الى مبحثين المبحث الاول تناولنا فيه دوافع شعر الصعاليك و المبحث الثاني كان فيه الحديث عن النظام الإجتماعي عند الحيوان في شعر الصعاليك ، واما**الفصل الثاني** فكان تحت عنوان وصف الحيوان في شعر الصعاليك جاء فيه وصف الطيور و الخيل و الناقة و الأسد و الضبع و الذئب إضافة إلى الثور الوحشي و الحمار ، وفيه وصف حيوان عندهم .

و جاءت الخاتمة حوصلة لنتائج البحث .

وقد حفلت مكتبة البحث بجملة من المؤلفات التي تخدم الموضوع ومنها مدونة البحث المكونة من ثمانية دواوين اهمها ديوان الشنفرى تحقيق اصيل بديع يعقوب و تأبط شرا شرح علي ذو الفقار و عروة بن الورد تحقيق أسماء أبوبكر و غيرها من المصادر و المراجع التي استعملناها في إثراء بحثنا هذا .

وقد إعترضت هذا البحث كغيره من البحوث عدة صعوبات لعل أهمها قلة الخبرة ، و صعوبة الكلمات في الشعر الجاهلي ، إضافة إلى هذا الوباء الذي منعنا من الإلتقاء لأكمال هذا البحث و لكن هذه الصعوبات أضفت على البحث متعة كبيرة .

و في الختام لا يسعنا إلا أن نشكر المولى عز وجل على نعمه الكثيرة التي أنعم بها علينا كما لايسعنا إلا أن نقدم بخالص شكرنا للأستاذ المشرف على بحثنا " الأستاذ عبد الحفيظ بورايو" الذي تحمل معنا مشقة البحث .

وأخيرا نقول إن حقق هذا العمل غايته فالفضل لله أولا و أخيرا و إن كان غير ذلك ، فحسبنا أننا بذلنا كل ما نستطيع من جهد و ما توفيقنا إلا بالله عليه توكنا و به نستعين .

مـــدخـــــل:

الصعلكة ظاهرة اجتماعية برزت على هامش الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي كردة فعل على بعض الممارسات الاجتماعية. فهي عبارة عن ثورة ضد الأغنياء الذين كانوا يهاجمونهم في سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية. ومن الصعاليك من كان يقوم على أمر الضعفاء و المسنين فيجمع لهم الطعام و يرعاهم ويحفر الآبار ومن المؤكد أن من الصعاليك من كان فاجرا فاتكا لا يتورع عن سفك الدماء، في المقابل تلك النماذج الإنسانية التي نقلت قصصها كتب التاريخ الأدبي.

-1- تعريف الصعلكة:

1-1- لغة:

جاء في لسان العرب "الصعلوك الفقير الذي لا مال له [1]. وتصعلك الرجل اذا نضب ماله و انعدم عنده ما يعتمد عليه في حياته .

وقد استخدمت هذه الكلمة في العصر الجاهلي في أخبار و أشعار الجاهلين، قال حاتم الطائي:

غنينـــا زمانا بالتملك و الغنـــــى فكل سقانا بكاسيهما الدهـــــــر

فما زادنا بغيا على ذي قرابـــة غنانا ولا أزرى بحسبانا الفقـــر[2]

وتصعلكت الإبل: أخرجت أوبارها ، رجل مصعلك الرأس أي مدوره وصغيره:و أنشد:

يخيل في المرعى لهن بشخصه مصعلك أعلى قلة الرأس نقنـف [3] .

مما سبق من تعريف للصعلكة في لسان العرب نبين أن الصعلكة تدل على الضمور و الإنجراد وهو يتصعلك أي يفتقر و يتجرد من ماله وأنعامه حتى يبدو هزيلا بين الأغنياء.

1- ابن منظور:جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي ، لسان العرب ، ط1، بيروت، لبنان، دارصادر للطباعة و النشر. 2000 (مادة الصعلك).

2-الأصفهاني:أبو الفرج علي بن حسين بن محمد بن احمد، الأغاني، ج3، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،1929م، ص73.

3- المصدر نفسه: ج 3 ص 73

- قد اختلفت الآراء في أصل الصعلكة فمنهم من يرى ان أصلها الفقر و يذهب آخرون إلى أنها الضمور و الإنجراد و الأخير هو الصواب. أما في قاموس المحيط نجدها على أنها "صعلكه افقده، الصعلوك الفقير[1] .

-"**عروة الصعاليك** هو عروة بن الورد لأنه كان يجمع الفقراء في حضيرة فيرزقهم ما يغنمه [2].

- ويقال ذؤبان العرب أي لصوصهم و صعاليكهم، واقرب هذه الآراء الذي أشار إليه لسان العرب على أن الصعلكة : تعني الضمور و الإنجراد وأن الفقير وصف بها لضموره وتجرده من ماله.

1-2- اصطلاحا:

أخذت كلمة الصعلكة في الإصطلاح معنى آخر يتعارض مع أصله اللغوي. كثر ترددها في أخبار فئة من الشعراء الجاهليين عرفوا بتمردهم على نظام القبيلة. و اعتداءاتهم المتكررة على القوافل و القبائل وفي ذلك يقول عروة بن الورد يمدح الصعلوك المغامر:

- ولكن صعلوكا صحيفة وجهـــه كضوء شهاب القابس المتنـــور

- مطلا على أعدائه يزجرونـــــه بساحاتهم زجر المنيح المشهـر[3] .

ويبدو في مدح عروة للصعلوك الذي وصفه بإشراق الوجه، على وجهه نور المهابة يعلو وجه ذلك الصعلوك حين يطل على الأعداء بساحاتهم فيخافونه و يصيحون به ليطردوه كما يفعل الأيسار بالقدح المنيح الذي لا ينضب.

-أما عمرو بن البراقة فيشير إلى أصحابه الصعاليك الذين تخشى زوجته عليه من مجاراتهم.

تقول سليمى لا تعرض لتلفـــة فليلك عن ليل الصعاليك نائـــم

وكيف ينام الليل من جل مالـــه حسام كلون الملح أبيضُ صـارم [4] .

-قد كثر استخدام لفظ الصعاليك في مصادر الأدب الجاهلي ففي الأغاني يقدم أبو الفرج لكثير من الشعراء الصعاليك بوصفهم صعاليك العرب العدّائيين. ويصف أبا الطمحان القيني بأنه كان شاعرا فارسا غاربا صعلوكا.

1- الفيروزابادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت لبنان، د/ت،(مادة الصعلك).
2- الأصفهاني:أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن احمد،الأغاني، ج3.

3- عروة بن الورد بن زيد العبسي، ديوانه، تحقيق د- سعدي ضناوي، دار الجيل بيروت، ط1، 1996ص73.

4- يحي الجبوري: قصائد جاهلية نادرة، ط1،مؤسسة الرسالة بيروت،1982م،ص100.

لكن الصعاليك ليسوا فقراء فحسب وليسوا متمردين كلهم فبعضهم قد ارتضى حياة الخمول

والذلة في الوقت الذي رفض بعضهم واقعه. ان الصعلوك ليس فقيرا خاملا يسلم نفسه للفقر ويظهر يائسا مستسلما بل الفقير المقاوم الذي يكثر الغزو، الشجاع المقتدر على مواجهة الواقع بالقوة.

لكنهم لم يكونوا يتطلعون لحياة أرقى، ولم يعرف الموسورون في الجاهلية معنى الرفاهية التي ظهرت في العصور التالية. فالحياة الجاهلية كانت في مجملها جافة و خشنة تحيط بها الصحراء. بل كانوا يسعون للحصول على ما يكفيهم ويسد خلال أهلهم و جيرانهم من الفقراء وما يعضد قولنا هو كرمهم وإيثارهم وتعففهم بعد الظفر بالغنائم.

يتهم عبد الحليم حنفي في كتابه "الشعراء الصعاليك [1] الكتب القديمة التي تنعت بالأدب و الأدباء كخزانة الأدب، و الأغاني و الكامل بالتقصير في إيضاح المعنى الأدبي لكلمة صعلكة بالصورة البينة. مع أنها في الوقت نفسه تسوق أخبارهم على أنهم قطاع طرق. إلا أننا نرى ان وصف عبد الحليم حنفي به نوع من الإجحاف على تلك المصادر. التي أشارت في ترجمتهم إلى أنهم شذاذ آفاق و فتاك. هو ما يفسر المعنى الأدبي للكلمة.

- ومنه يمكننا القول بأن أصل الصعلكة في اللغة الضمور و الإنجراد و أنها أستخدمت للدلالة على الفقير لضموره و تجرده من ماله، حتى يبدو صغيرا بين الأغنياء.

-أما في الاصطلاح فالصعلوك الفقير الذي إمتهن الغزو من أجل الرزق أو الإنتقام أو أي غاية أخرى.

- من هذا أطلق على شعرهم شعر الصعاليك لما نعتوا به بالصعاليك فسمي شعرهم نسبة اليهم

2-أخبار الشعراء:

لاشك أن التأثيرات الاجتماعية ألقت بظلالها على الشعراء الصعاليك، إذ خرج معظمهم واضطرارا من قبائلهم إلى البراري وعلى هذا قسم الصعاليك إلى ثلاثة فئات:

- ✓ فئة الخلعاء الشذاذ وهم الذين خلعتهم قبائلهم بسبب أعمالهم التي لا تتوافق مع أعراف القبائل التي ينتمون إليها، أمثال: أبو الخراش الهذلي ، قيس بن الحدادية.

1- عبد الحليم الحنفي: شعر الصعاليك، الهيئة المصرية للكتاب، د.ط، القاهرة مصر،1979م،ص31.

- ✓ فئة أبناء الحبشيات السود ممن نبذهم أباؤهم ولم يلحقوهم بأنسابهم مثل: السليك بن السلكة ، تأبط شرا. الشنفرى.
- ✓ فئة إحترفت الصعلكة إحترافا من خلال الأعمال الإيجابية التي كانوا يقومون بها مثل: عروة بن الورد.

1-2 شعراء الصعاليك أسماؤهم و أخبارهم

2-1-1-عروة بن الورد:

هو عروة بن الورد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن لديم بن غالب بن قطيعة بن عيسى، ينتمي إلى قبيلة عيسى.

كانت أمه من قضاعة وقد كان عروة يشعر بوضاعة نسبه من أمه و في ذلك يقول:

مابي معار أخال علمتـــــــــه سوى ان أخوالي نسبوا نهد

إذا ما أردت المجد قصر مجدهم فأعيا علي أن يقاربني مجـد[1]

وقد لقب بابي الصعاليك لاهتمامه بهم وقيامه بأمرهم فكان الصعاليك إذا أصابتهم سنة أتوه أمام بيته حتى إذا أبصروا به صرخوا وقالوا: "يا أبا الصعاليك أغثنا[2].

فكان يقسم ما يغنمه على أصحابه و يؤثرهم على نفسه وكان لأحاديث مروءته و كرمه و شجاعته ما جعله موضع إعجاب طفا على مهنته في التصعلك

يعتبر شعره أكثر أشعار الصعاليك حديثا عن غزواتهم و مغامراتهم و دوافعهم.

2-1-2 تأبط شرا:

هو ثابت بن سفيان بن عميثل بن عدي بن كعب بن ففيل بن حرب بن تميم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر نزار، و أمه يقال لها أميمة، يقال أنها من بني القين بطن من فهم.

---

1 - عروة بن الورد: بن زيد العبسي، ديوانه، تحقيق د.سعدي ضناوي، ط 1، 1996، ص 113.

2 - الأصفهاني: أبو الفرح علي بن الحسين، الأغاني، ج3، ص 73.

له في لقبه روايات كثيرة منها انه كان رأى كبشا في الصحراء فأحتمله حتى قرب من الحي، ثم ثقل عليه فرمى به فإذا به هو الغول ، فقالوا له ما تأبطت يا ثابت قل: الغول، قالوا: "لقد تأبط شرا[1] وكان يصفه قومه فهم بأنه كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين، وكان أبرز العدائين ذي سرعة فائقة.

2-1-3 السليك بن السلكة:

هو السليك بن السلكة بن عمرو، و قبل بن عمير بن يثرب أحد بني مقاعس وهو الحرث بن عمر بن كعب بن سعد بن منأة بن تميم و أسلكة أمه، وهي أمه سوداء. وهو أحد الصعاليك العرب العدائيين الذين كانوا لا يلحقونهم (السليك بن السلكة، الشنفرى، تأبط شرا، وعمر بن براق، نفيل بن البراقة).

كان السليك من أشد الرجال العرب و أنكرهم و أشعرهم و كانت العرب تدعوه سليك المقانب وكان أدل الناس بالأرض و أشدهم عدوا.

2-1-4 الشنفرى :

هو ثابت بن الأواس (ليس أوس) من أبناء الحجر بن الأزد بن الغوث وهو من أغربة العرب و هجنائهم. لقب بالشنفرى لغلظة شفتيه وسواد بشرته وقبل بل لحدة طبعه.

سرته بنوشبابة بن فهم فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرج من الأزد رجلا من بني شبابة ففدته بنو شبابة بالشنفرى.

فكان الشنفرى في بني سلامان لا تحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره وكان السلامي اتخذه ولدا. فقال لها الشنفرى إغسلي لي رأسي يا أخية. فأنكرت أن يكون أخاها و لطمته، فذهب مغضبا حتى أتى الذي اشتراه من فهم فقال له: أصدقني ممن أنا؟ قال أنت من الأواس بن الحجر، فقال: "أما إني لن أدعكم حتى اقتل منكم مئة رجل" [2] .

1-الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني،ج18، ص 313 .

2- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج21، ص135.

- قيل أنه قتل تسعة و تسعين رجلا من بني سلامان، ثم قتلوه بعد أن تفننوا في تعذيبه، و أوفى المائة بعد أن ركل رجل بجمجمته و دخلت عظمة في رجله فهاجت عليه فمات وأتم مائة.

2-1-5 قيس بن الحدادية:

قيس بن منقذ بن عمر، بن عبيد بن ضياطر، بن صالح بن حبشة بن سلول، بن كعب بن عمر بن ربيعة بن حارثة وهو من خزاعة بني خفضة من قيس عيلان بن مضر، ثم من قبيلة منهم يقال لها بنو حداد.

أمه هي التي من بني حداد، قتله بنو مرينة في غارة لهم.

شاعر من شعراء الجاهلية، كان فاتكا شجاعا صعلوكا خليقا، خلعته بنو القين لكثرة جناياته.

2-1-6- صخر الغي:

صخر الغي هو بن عبد الله الخعثمي احد بني عمر بن الحارث، كان خاربا صعلوكا كثير المغامرات. ولقب بصخر الغي لخلاعته و شدة باسه وكثرة شره، وكان أكثر الشعراء الصعاليك شعرا في الرثاء.

2-1-7- أبو الخراش الهذلي :

هو خويلد بن مرة، أحمد بني قره (عمرو) من هذيل واسم أمه لين ، كان أبو خراش الهذلي فارسا في الجاهلية ، فأتكاو عداء لا تدركه الخيل ، و كان له إخوة كلهم عداؤون و شعراء ، ماتوا قبله ، [1] توفي 15 هـ ، كان من مشاهير الصعاليك ، وكان مظفرا في غزواته و ترك الصعلكة بعد إسلامه وهو لم يحب الصعلكة و غنما أجبرته ظروف الحياة على الصعلكة / و على رأس تلك الظروف مقتل عدد من إخوانه على أيدي قبيلة كنانة و فهم و ثمالة فانبعث يغزو هذه القبائل ، كان شجاعا ، كريما عفيف النفس لا يرقى الهوان ، صبورا، تأخر أبو الخراش في الدخول في الإسلام ، ثم أسلم و حسن لإسلامه ، ووفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، و كان قد أسن "[2] قيل أنه أهلكته حية فمات .

1-أبو الخراش الهذلي ، ديوانه ، أحمد عبد الله فرهود ،دار القلم العربي ، ط1 ، سوريا ، 1992 ، ص 3 .

2- المصدر نفسه ص 3 .

2-1-8- عمر بن البراقة الهمذاني:

- شاعر من شعراء اللصوص و الصعلكة، شاعر فاتك جرئ جيد الشعر اسمه عمرو، ونسب إلى أمه البراقة الهمداني ثم النهمي." اسم أبيه منبه بن شهر بن نهم بن ربيعة بن مالك بن رومان بكيل بن جشم بن خبران بن نوف بن همدان[1] .

- هو شاعر جاهلي أدرك الإسلام ، فهو من المخضرمين، لا يعرف عنه في الإسلام شيئا،" أما في الجاهلية فهو احد الصعاليك العرب العدائيين [2] .

- كان عمرو صاحبا لتأبط شرا و الشنفرى، يغير تأبط شرا بهما على القبائل فيغزو و يسلب و يغنم، وكثيرا ما كان يحيط بهم أعداؤهم فيقع عمر في قبضة الأعداء ويحتال تأبط شرا في فكاكه، في قصص تصوره البطولة و القوة و الشجاعة و الحزم و التدبير.[3]

3- أغراض شعر الصعاليك:

حين نستعرض من شعر الصعاليك فإننا نلتمس فيه أغراض كثيرة نذكر منها :

3-1 الفخر:

الفخر هو صفة مشتركة بين الشعراء جميعا قديمهم و حديثهم فلا يتصور شاعر لم يفتخر بنفسه، فمن الطبيعي أن يفتخر شعراء الصعاليك بأنفسهم. لكن نلاحظ أنهم لم يجعلوا الفخر موضوعا ولا حتى غرضا مقصودا لذاته، وإنما يأتي غرضا استنتاجا من أحداث ومعاني سابقة كأنه تعليق أو تعقيب على حديث ، إلا أن فخرهم لا يخلو من كونه محيط بالصعلكة. إشادة بصفة من صفاتهم السابقة التي جعلوها أسلحة لهم في الصعلكة، كقوة الإرادة، الحزم، الجرأة و الإستعانة بالموت، لقول الشنفرى بعد حديثه عن صبره و قوة إرادته:

1- الأمدي: أبو القاسم الحسن بن البشر بن يحي، المؤتلف و المختلف، تحقيق عبد الستار احمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، 1996، ص88.

2-الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج 20، ص 375.

3- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج 21، ص 131.

ولا تزدهي الأجهال حلمي ولا أدبي سؤولا بأعقاب الأقاويل أنمل[1]

وقول عروة بن الورد وهو يفتخر بإكرامه الضيف :

فراشي فراش الضعيف و البيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنـع

أحدّثه، إن الحديث من القـــــــرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع [2].

2-3 الإعتزاز بالقبيلة:

إن الاعتزاز بالقبيلة من أكثر الموضوعات و الأغراض شيوعا في الشعر العربي القديم، إلا أن الصعاليك شذوا في هذا. حيث إن كان الواحد منهم يعتبر نفسه قوة مستقلة و كيان مستقلا. لذلك انفردوا بأن الواحد منهم كثيرا ما يتصدى لقبيلة. يهدد و يتوعد بمفرده كأنه قوة مماثلة لقوة قبيلة. كما فعل الشنفرى مع بني سلامان و تأبط شرا مع بني لحيان من هذيل، وبعض الصعاليك كانوا من العمد التي تقوم عليها قوة قبيلتهم كعروة بن الورد العبسي. وهذا النوع شارك قبيلته في كل ظروفها.

3-3 المـــــــــدح:

لم يكن الشعر في الجاهلية الأولى كما هو معروف وسيلة للكسب، ثم عرف الشعراء طريقهم إلى الكسب بالشعر، إلا أن شعراء الصعاليك لم يكتسبوا بشعرهم من عزة أنفسهم.

إن غرض المدح ورد في شعر الصعاليك على الرغم من عدم كثرته، كان مدحهم غير مقصود لذاته وإنما مرتبطا بحياتهم في الصعلكة و صفاتهم التي اختصوا بها.

1- الشنفرى: عمرو بن مالك، ديوانه، جمعه وحققه و شرحه إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي،ط2، بيروت لبنان،1996م، ص 69.

2- عروة بن الورد: بن زيد العبسي، ديوانه،ط1996،1م، ص 83.

4-3 الهجـــــــــاء:

إن هجاء الصعاليك لغيرهم نجد فيه عفة بالغة في الألفاظ و المعاني فلا نعلم صعلوكا قط جنح إلى الإسفاف و الإقذاع في هجائه لأحد مهما يبلغ بينهما من عداء، ويغلب على هجائهم إن هجوا أن يكون سببه العدوان [1] .أو موقف خصومة أو إيذاء صدر من المهجو، بل أحيانا يكون سببا إنسانيا نبيلا لا نعلم أن أحد اتأثر به من الشعراء غير الصعاليك.

- كقصة أبي خراش مع غاسل السعدي الذي قتل جارا له، ولكن أبا الخراش لامه بشعره لوما عنيفا على هذه الفعلة التي يأباها الخلق الكريم و تنكرها تقاليد العروبة، وكان القتيل غلاما تميما من بني حنضل، ومن لوم أبي خراش لغاسل على قتله :

أبات على مقراك ثم قتلتـــــــه على غير ذنب ذاك جد بك الشكل

فهل هو إلا ثوبه و سلاحـــــــه وما بكم عري إليه ولا غـــــزل [2] .

- أكثر من بلغنا في شعرهم هجاء فضالة بن شريك، وهو وإن كان هجاؤه يعتبر من الشذوذ في شعر الصعاليك،حيث أنه هجا لمنع العطاء وكف القرى عنه، إلا أن هجاءه يتسم مع نيله من المهجو بعدم الفحش و الإقذاع فقد هجا عاصم بن عمر لأنه لم يقره فكان مما قاله:

لا أيها الباغي ليست وجيـــــــدا قراك إذا ما بت في دار عاصـــم.

ثم تذكر أباه عمر فخفف من غلواء هجائه قائلا:

ولولا يد الفاروق قلدت عاصمـا مطوقة بخزي بها في المواســـم [3]

- يبدو أن فضالة كان نازعا إلى الهجاء مع عفة الألفاظ، فهو يعتبر شاذا بين الصعاليك في هجائه من ناحيتين، إحداهما انه أكثر من بلغنا هجاء في شعره منهم، و الأخرى انه الوحيد

1- ديوان الهذليين، أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، الدار القومية للطباعة و النشر، ج 2، 1950م، ص 223.

2- ديوان الهذلين، ج2، ص 164.

3- عبد الحكيم حنفي، شعر الصعاليك، منهجه و خصائصه، ص 328.

من بينهم الذي بلغنا انه هجا لعدم القرى و العطاء، وكان مظهر قدرته في الهجاء انه وجد لهجائه وقعا بليغا عميقا يهز كيان المهجو مع عدم الفحش في الهجاء.

5-3 الرثـــــاء:

ان رثاء الصعاليك لغيرهم كان أضيق نطاقا مما سبق، حيث لا نجد في شعرهم رثاء إلا لدى نفر محدود منهم، ويتسم رثاؤهم بالطابع الشخصي، وإنما كان تنفيسا عن عواطف حقيقية أحسوا بها وذلك لأننا نجد الذين رثاهم الصعاليك ذوي صلة شخصية وثيقة بهم، إما يكون المرثي ابنا، أو أخا، أو زميلا في الصعلكة، أو معينا في وجه من وجوه حياتهم.

6-3 الغـــــــزل:

- مهما تكن عزلة الصعاليك، ونأيهم عن المجتمع، فهم بشر فيهم ما في الناس من عواطف و غرائز، لذا لا يكن غريبا أن يكون في شعرهم غزل بل الغريب ألا يكون، وليس يعنينا كثيرا غزلهم لذاته، و إنما يعنينا طابعهم في الغزل، وأول ما يطالعنا من طابع الصعاليك في الغزل العفة في أكرم صورها سواء في حديثهم عن عواطفهم و أشواقهم أو عن صفات حبيباتهم و خلقهن. وأهم ما يتميز به غزل الصعاليك هو الواقعية الحقيقية، و الصدق في التصوير و صلاتهم العاطفية.

فهم يتحدثون عن حقائق عاشوها و تأثروا بها، خاصة أن بعضهم كانوا من مشهوري العشاق في العرب، كثوبة بن الحمير صاحب الحب المشهور مع ليلى الأخيلية، وعمرو بن عجلان، وما يميز غزل الصعاليك أيضا، هو شيوع الغزل بالزوجات، وسبب في ذلك إلى كثرة سفرهم وتنقلهم بين أماكن متباعدة. و الغزل عندهم يأتي محشوا في القصيدة لا في مطلعها كما هو مألوف عند الشعراء. وهذا تعبيرا عن صدقهم. إن غرض الغزل عند الصعاليك ليس من الموضوعات الأساسية أو الأغراض البارزة عندهم نجده من الأغراض العادية لهذا يأتي غزلهم حشوا في القصيدة لا مطلعا لها.

- ومنه إن شعر الصعاليك كغيره من الأشعار الأخرى تنوعت أغراضه وتعددت بين المدح و الفخر، إعتزازا بالقبيلة، والهجاء و الرثاء و الغزل، فكلها أغراض احتوت واقعهم المعيشي.

الفصل الأول

شعر الصعاليك

الفصـــــل الأول

1- المبـــــــــــــــحث الأول:

1- 1-دوافع شعر الصعاليك :

- 1- 1- دافع الفقر

1- 1- 2- دافع الخلع

1- 1- 3-الدافع الإجتماعي

2- المبحـــــــــث الثـــــــاني:

2- 1- النظام الاجتماعـــــــي :

2- 1- 1- سلوك التجمع

2 - 1- 2- الأسرة الحيوانية

2- 1- 3- العلاقة الحميمية

2- 2- السيـــــــــــــــطرة:

2- 2- 1- الامتلاك الجغرافي

2- 2- 2- القيادة

2- 2- 3- نفي الشركاء

2- 3- الصـــــــــــــــراع:

2- 3- 1- المطاردة و الإفتراس

2- 3- 2- الإحتيال و التخفي

الفصل الأول

المبحث الأول :

1 دوافع ظهور الصعاليك في العصر الجاهلي

إن الصعاليك هم مجموعة من شذاذ المجتمع الجاهلي خرجوا من روابط القبيلة الإجتماعية طوعا أو كرها، تبنوا القوة و الغزو من أجل تحقيق أهدافهم. المتمثلة في كسب العيش، أو مساعدة الفقراء أمثالهم، أو الإنتقام من البخلاء. ويمكننا حصر هذه الدوافع التي أفصحوا عنها في أشعارهم و برروا بها مسلكهم العدواني، و اعتداءاتهم المتكررة على القبائل و القوافل.

1- 1- دافع الفقر :

إن الفقر هو الدافع المشترك الذي يجتمع فيه الصعاليك (إن كل صعلوك فقير) حتى عروة سيدهم كان فقيرا.

ولقد عانى شعراء الصعاليك من الفقر حتى غلب على موضوعات شعرهم. و صبغها بلون التبرم و الشكوى فلا نكاد نجد شعر أحدهم يخلو من ذكر الفقر و الإملاق و العسر و ضيق اليد.

ومن ذلك قول عروة مخاطبا زوجته :

- دعيني أطوف في البلاد لعلنـي أقيد غني، فيه لذي الحق محمــل
- أليس عظيما أن تلم ملمـــــة وليس علينا، في الحقوق معــول
- فإن نحن لم نملك دفاعا بحادث تلم به الأيام. فالموت أحمـــــل [1]

- إن عروة يجادل صاحبته كدأبه في كل قصائده طالبا منها أن تتركه يخرج للغزو مغامرا بنفسه، عسى أن يجلب لها ما يكفي حاجاتهم، ويخشى أن يحل بهم ضيف كريم فلا يجد ما يكرمه به.

- **السليك بن السلكة** يرى أنه يغزو إضطرارا. فقد ذكر في الأغاني أنه أملق حتى لم يبق له شيء. و تذكر له قصة أغار فيها على (حي بني شيبان) ومعه رجلان، فبعد أن ظفر بالغنيمة أنشد :

1- ديوان عروة ، تحقيق أسماء ابو بكر محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، د.ط، 1998م، ص 97.

وما نلتها حتى تصعلكت حقبـــــــــة وكدت لأسباب المنية أعــرف.

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني إذا قمت تغشاني ظلال فاسدف."[1]

عروة **بن الورد** يذكر ما يعانيه و أصحابه الفقراء من لدغات الجوع و آلامه في معظم قصائده، ويعلن دعوته لكل صعاليك الفقراء بالنهوض للإغارة و تغيير حياتهم بالقوة. يرى أنها أفضل طريقة لكسب العيش. وإلا فالموت خير لهم من مد يد المساعدة للبخلاء من الأغنياء.

- إذا المرء لم يبعث سوامـــــــا ولم تعطف عليه أقاربـــــــــــه.

- فالموت خير للفتى من حياتـــه ومن مولى تدب عقاربـــــــــــه."[2]

- إن حال هؤلاء الفقراء يزداد سوءا كلما قارنوا فقرهم بحال المنعمين من أفراد قبائلهم المترفين في النعمة والمال يستأثرون بخيرها ولا يلتفتون إلى إخوانهم الفقراء. إن الإغارة و النهب و الأخذ بالقوة خير لهم من الإحساس بالضعف و الحاجة إلى الغير.

- وفي هذا يقول أحمد سويلم : "و قد اتخذ الصعلوك الإغارة و الغزو شعارا له غير أن هذا الشعار اتخذ وجهتين في التطبيق، فمنهم من طبقه بقصد السلب و النهب. و الصعاليك يشتركون في دوافعهم الفقر و الإحساس بالظلم و فقدان المساواة. ويتحدون في نتائج تلك الدوافع وهي دفع الظلم ولانتقام من الأثرياء"[3].

- ~~ويرى حسين مروة أن الفقر هو أحد عاملين كانا وراء~~ خروج الصعاليك و إمتهانهم الغزو حيث يقول : "لم يكن الصعاليك سوى فئة من فقراء القبائل المختلفة عبرت بانسلاخها عن واقعين إثنين لهما دلالة واحدة عبرة أولا عن خروجها عن الإنتماء الذي يلزمها الإلتصاق بحياة القبيلة، و الإنقياد لأوضاعها و أعرافها القبلية، وعبرت ثانيا عن حاجة مادية لم تستطع إحتمالها في ضل القبيلة"[4].

1- الأصفهاني ابو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج18، ص 182.

2- ديوان عروة، شرح سعدي الضناوي، ص 89.

3-أحمد سويلم،شعرنا القديم، رؤية عصرية، المجلس الاعلى للثقافة، مصر، 1979م، ص 21.

4- حسين مروة، النزاعات المادية في الفلسفة العربية، ج1، دار الفرابي بيروت، لبنان، 1979م، ص 209.

- إن هذه الطبقة الفقيرة برغم من انطوائها على إحساس واحد، لم تعبر كلها على ما كان من ضيم وذل، بل خرج بعضها مدفوعا بسياط الفقر و الرغبة في الاستمرار في الحياة.- إن دافع خروجهم الفقر بالدرجة الأولى ثم سخطهم على ميزان العدالة الاقتصادية ثانيا.- يبدو أنهم قنطوا من إكتساب رزقهم، و عطف المجتمع عليهم، فامتهنوا النهب و السلب، بل صاروا يفتخرون بذلك، و يحثون رفاقهم الفقراء لحذو حذوهم، و إتباع منهجهم.

1-2- دافع الخلع :

- قبل أن نتحدث عن الخلع لابد أن نشير إلى أصل الكلمة في اللغة. ففي لسان العرب، الخلع: الخليع الرجل يجني الجنايات يؤخذ بها أولياءه فيتبرؤون منه ومن جناياته، يقولون إنا خلعنا فلانا فلا نأخذ بجناية تجنى عليه ولا نؤاخذ بجنايته التي يجنيها [1] .

- أما الاصطلاح : الخلعاء هم مجموعة من الخارجين عن تقاليد القبيلة الجاهلية و أعرافها، فتنبذهم قبائلهم لكثرة جناياتهم و يتمثل حق الفرد على القبيلة في إحترام تقاليدها فلا يتصرف خارج إطار تلك التقاليد، ولا يجلب لها ما يسيئ إلى صمعتها و مكانتها.

- و بالمقابل يتمثل حق القبيلة على الفرد في حمايته و نصرته، ولكن قد يحدث أن تتكرر أخطاء الفرد حتى يصبح وجوده خطرا على القبيلة فتسارع إلى إبعاده حتى يكون على مسمع و مرأى من كل القبائل. و هكذا تسقط حقوق الفرد على القبيلة فلا تحتمل جريرته ولا تطالب بجريرة يجرها عليها.

- خلع بنو القين <<أبا الطمحان>>. فأنضم إلى طائفة الخلعاء من الصعاليك .

وحينما تخلع القبيلة فردا من أفرادها يجد نفسه أمام خيارين إما أن يضرب في أعماق الصحراء و يمارس السلب و النهب و يتعرض إلى مخاطر أفعاله، و إما أن يلجأ إلى قبيلة من القبائل تأويه و تحميه عوضا عن قبيلته التي خلعته وهو ما يسمى بالجوار.

- ولقد كان العرب يتبارون إلى إجارة المستجير و يتباهون بذلك لما فيه من إعتراف للمجير بالشهامة و الكرم و المروءة وهي صفة لا تتسنى إلا للسادة و أشراف القوم.

1- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة الخلع .

تذكر الأخبار أن أبا الطمحان جنى جنايته و طلبه السلطان فهرب من بلاده ولجأ الى بني فزارة فنزل عند رجل منهم يقال له مالك بن سعد أحد بني شمخ فآواه و أجاره ضرب عليه بيتا و خلطه بنفسه فمدحه أبو الطمحان :

سأمدح مالكا في كل ركـــب لقيتهم و أترك كـــــــل رزل.

فما أنا و البكارة أو مخـــاض عظام حلة سدس وبـــــــــذل

نمت بك من بني شمخ زنـــاد لها ما شئت من فرع و أصـــل[1] .

- إلا أن هذه الحياة ما كان لها أن ترضى أبا الطمحان فأخذ يجني الجنايات الواحدة تلو الأخرى، ويغزو القبائل حتى بعد إسلامه، إذ يصفه صاحب الأغاني بأنه "كان شاعرا فارسا، خاربا، صعلوكا، من المخضرمين وكان خبث الدين فيهما كما ذكر [2] .

- ألف قيس بعد خلعه عصابة من صعاليك العرب و أخذ يغزو بهم القبائل. " كان أول ما فعله أن أغار على قبيلته خزاعة فقتل منهم رجلا و أستاق أموالهم [3].

- إنه يريد الإنتقام . ممن خلعوه، إذ لحقه بعد الغارة رجل من قومه.

1- 3 الدافع الإجتماعي :

- "وينطلق أصحاب هذا الدافع من منطلق سخطهم على إختلال ميزان العدالة الإجتماعية، و أغلب أصحاب هذا الدافع من أغربة العرب السود [4].

لقد كان المجتمع الجاهلي مقسما إلى ثلاث طبقات إجتماعية متفاوتة في مكانتها. وكانت الطبقة الأولى هي طبقة السادة و أبناء السادة.وهؤلاء يشرفون على واجبات القبيلة من وضع الأحكام و الدفاع عنها. و الطبقة الثانية هي طبقة الخلعاء الموالي. الطبقة الثالثة هي طبقة العبيد، وهي أدنى طبقات المجتمع الجاهلي.

1- الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين ، الأغاني، ج 13 ، ص 10.

2- المرجع نفسه: ج 13 ، ص 10.

3- المرجع نفسه: ج 13 ، ص 10.

4- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غرب) أغربة العرب سوادهم شبهوا بالأغربة في لونهم

- كانت تسند إليهم الأعمال الفرعية من رعي وجلب الماء وطحن البذور وغيرها.

- فكانت تلك الطبقة تنظر إلى هوان منزلتها الإجتماعية و تلقي بالمسؤولية على مجتمعاتهم و قبائلهم و تحاول النيل و التشفي منها. لذا إمتهن بعضهم التصعلك وصاروا يعتدون على قبائلهم و يتوعدونها كما يتوعدون غيرها من القبائل، فلا فرق عندهم بين قبيلتهم و قبيلة أخرى طالما قصدهم هو الإنتقام. فتحولوا الى وحوش كاسرة ترتاد المراقب و تترصد حركة القبائل و القوافل، و تتحين الفرص للإنقضاض عليها.

- ولعل الشنفرى هو أكثرهم تميزا في هذا الدافع إذ أقسم أن يقتل من بني سلامان مفرج مائة رجل بما إستعبدوه. و في هذا يقول :

- جزينا سلامان بن مفرج قرضها بما قدمت أيديهم و أزلـــــــــــت

- شفينا بعبد الله بعض غليلنـــــــا و عوف لدى المعدي أوان استهلت [1].

- و منهم عروة بن الورد الذي كان يصب جام غضبه على الأغنياء و يدعو صعاليكه لغزوهم. إذ يشترك دافعا الفقر و الإنتقام من البخلاء عنده.

ويظهر ذلك في ذمه لسيد بني زبان (شريك) الذي أظهر ضيقه بعروة و أصحابه عندما نزلوا عنده.

- تولى بني زبان عنا بفضلهـــم وود شريك لو نسير فنبعـــــــد.

- ليهنأ شريك وطبه و لقاحـــــه و ذو العس بعد النومة المتبـــرد [2].

- فعروة يذم هذا الرجل و يظهر حنقه على بخله و جشعه حتى أنه يود أ يرحلوا ليهنأ بشراب اللبن من النوق في قدحه الضخم يتبرد. و كأن عروة يقارن في هذا البيت بين شرب اللبن لحاجة الإرتواء و هو لا وقت مميز له. و إنما يتم عندما يتيسر الشرب. و شرب اللبن للمتعة يتخير له أفضل الأوقات، ساعة يفيق صاحب القدح من نومه وفي حلقه جفاف فيتناول قدحه الضخم المليء باللبن يتبرد به.

1- أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون ، المفضليات ، ط4 ، دار المعارف بمصر ، 1942 ، ص 112.

2- عروة بن الورد ، ديوانه ، تحقيق سعدي ضناوي ، ط1 ،1996 ، ص 119.

يقول حسين عطوان : " تأبط شرا، و الشنفرى، و السليك جمع بينهم الجوع و الضياع و التشرد، و التمرد و الثورة على المجتمع، و مضوا يحققون وجودهم في مجتمع لم يعترف بهم. [1]

يمكننا أن نخلص إلى أن حركة الصعاليك في العصر الجاهلي إجتمعت في تكوينها ثلاثة دوافع هي الفقر، الخلع، التفرقة الإجتماعية، ولقد تداخلت هذه الدوافع مع بعضها البعض في تكوين شخصيات أولئك الشعراء، و شكلت ما يسمى (الشعراء الصعاليك) الذي نظموا قصائدهم داخل هذا الإطار و دعموا بها مواقفهم، و كشفوا فيها الكثير من الجوانب الخفية التي كان يمكن أن تضل خفية المعالم إلى يومنا هذا.

1- حسين عطوان ، الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، دار المعارف بمصر ، 1970 ، ص 12.

المبحث الثاني :

1 سلوك الحيوان في شعر الصعاليك.

إن الحيوان لصيق بالإنسان في كل مكان، فله سلوكات عديدة في الشعر الجاهلي، وقد ركز بعض الدارسين إهتمامهم على الحيوان حال حياته سواء أكان فردا أو في منظومة إجتماعية، فيراقب عاداته و طباعه و يصف مناحي أنشطته و أشكال إستجابته للمثيرات من حوله سواء كانت من البيئة المحيطة أو من داخل ذاته، ولقد تمركز سلوك الحيوان حول نظامين نذكر منهما النظام الإجتماعي و السيطرة و الصراع.

2- النظام الإجتماعي :

2- 1- سلوك التجمع :

إن الحيوان على عكس الإنسان فقلما يعيش منفردا بلا جماعة فيها ظروف إجتماعية التي تعد ضرورية للبقاء، و قد تختلف طبيعة الحيوانات فمنها من يعيش في جماعات قليلة كالأسود و الذئاب حيث أن طبيعتها السلوكية لا تنجح في التجمعات الكبيرة، كما أن هناك أصناف أخرى تعيش في تجمعات كبيرة كالبقر و الحمير الوحشي، وسبب تجمعاتها الكبيرة توفير الحماية و الأمان من كثرة العدد لأنها هدف للوحوش المفترسة، ولا ننسى بعض الحيوانات التي تعيش منفردة كالوعل الذي يعيش في أعالي الجبال.

إذن فالتجمع سلوك شائع في أنواع كثيرة من الحيوانات، لأن الحيوان ينجذب لبني جنسه و يعيش معه في تجمعات تختلف قلة و كثرة، حيث قال الله تعالى : " وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم [1]. وهي الحاجة التي يلمسها الإنسان فهو يعيش في وسط جماعي وقد " أدرك البيولوجيون منذ زمان بعيد وجود درجة عالية من التنظيم الإجتماعي في أنواع معينة من الحيوان... حتى أكثر الحيوانات بدائية و فردية تميل إلى تكوين جماعات بقصد الحماية المشتركة في بعض الظروف المعينة، وإن سلوكها يعتبر عن هذا الحد سلوكا إجتماعيا [2].

1- سورة الأنعام، رواية ورش، الأية 38.

2- جون بول سكوت ، سلوك الحيوان ، ص 236 و ينظر إبراهيم سليمان عيسى ، المدخل لدراسة اساسيات علم سلوك الحيوان (القاهرة ، دار هبة النيل للنشر و التوزيع ، 1998 ، ص 173).

إذن فتحقيق الأمان كما ورد في هذا النص هو الدافع لسلوك التجمع، و نجد أن أكثر ما نجد هذا السلوك هو في الفصائل التي تكون فيها تجمعات كبيرة و التي تعد فرائس للأسود و الضباع، و هناك شعراء جاهليون يشيرون إلى أن هذا الصنف من الحيوانات الا و هو منظوم في قطيع بسبب الخطر الذي يدور بهم و حاجة أفراده الإحساس بالأمان و نجد أن امرء القيس قد ذكر ذلك في الأبيات الآتية :

- فعن لنا سرب كأن نعاجـــــــه عذارى دوار في ملاء مذيـــــل.

- فأدبرن كالجزع المفصل بينـــه بجيد معم في العشيرة مخـــــول [1].

- و تبدي نصوص الشعراء الجاهليين هذا الضرب من التجمع سلوكا دائما و ان أي التحام طبيعة مستمرة و ليست عارضة تمليها أحوال الخطر، وقد ذكر الشاعر هنا التحام البقر في لوحية شعرية حيث قال :

- و الدهر لا يبقى حدثانـــــــه بقر بناصفة الجواء ركـــــــود

- طلت ببلقعة وخبث سملـــــق فيها يكون مبيتها و تـــــــــرود [2].

و هنا في هذا النص يدل إلى طول مدة التجمع في هذا الموقع و كأنه موطنا له و أكثر ما نلقى إشارات الشعراء إلى انتظام البقر في قطعان متماسكة.

2- 2 الأسرة الحيوانية :

- إن الأسرة الحيوانية في الشعر الجاهلي تظهر الذكر و الأنثى من فصيلة حيوانية ما مجتمعين في ود و ألفة، و قد يكون للذكر مجموعة من الإناث و أن يكون مكتفيا بواحدة كالأسد مثلا، فالتزاوج بمفهومه الإنساني وما يعترضه من ظروف تعمل على إستمراره أو إنفصاله هو قائم على المملكة الحيوانية " فمن الحيوانات ما يتزاوج من أجل إستمرار الحياة و يتلازم طالما بقي على قيد الحياة، و يتزاوج بعضها لموسم واحد، و يتزاوج البعض الأخر وينفصل على الفور.[3]

1- امرئ القيس ، ديوانه ص 22

2- قيس بن عينرارة ، ينظر : السكري ، شرح أشعار الهذلين : تحقيق عبد الستار أحمد فراج (القاهرة: مكتبة دار العروبة ، دط ، دت) ص 599.

3- جفرى ماسون ، عندما تبكي الفيلة "الحياة الإنفعالية عند الحيوان" ص 161.

و هناك بعض الحيوانات التي تعرف بالزواج المنظم الذي هو أقرب ما يكون إلى مفهوم الزواج البشري وهو الذي يتصف بالدوام حيث توزع المهام بين الذكر و الأنثى " فهناك أنواع مختلفة يتخذ الترابط بين الذكر و الأنثى فيها طابعا أكثر دواما ويقوم الذكر بدور حامي العائلة وهذه الحالة غالبا بين الحيوانات ذوات الأربع... وفي مثل هذه الحالات لا يبقى الذكر مع أنثاه وصغيره فحسب بل يعتني بهما[1] ، وقد صور بعض الشعراء الجاهليون صورا شعرية تصف ارتباطا ثنائيا بين الذكر و الأنثى خاصة الحمار الوحشي الذي يعتني بأنثاه ويذب عنها حيث قال الأعشى :

- أذلك أم خميص البطن جـــأب أطاع له النواصف و الكديـــــد

- يقلب سمحجا فيها إبـــــــاء على أن سوف تأتي ما يكيـــــد.[2]

- كما تغني بعض الشعراء بالأتان التي يتفرد بها الحمار محببة إلى نفسه حيث قال لبيدين ربيعة :

- أتيتك أم سمحج تخيرهـــــا علج تسرى نحا ئصها شسيـــا

- فأختار منها مثل الخريـــدة لا تأمن منه الحذار و العطيـــا.[3]

- ويقصد بالخريدة هنا هي تلك الفتاة البكر التي لم تمس قط وهي اللؤلؤة قبل ثقبها وكلاهما يدل على الحسن و الجمال و الأتان هنا تؤكد أهليتها للإنتقاء من بين جماعته الأتن.

- وقد ذهب بعض الدارسون للكشف عن سر إقتناء الحمار لأنثى واحدة رغم أن الحمار لديه بعض الأتن كما صوره الشعراء، إلا ان الحمار يكتفي بواحدة إذا كان فتيا قليل الخبرة، كما يذهب إليه صاحب الرأي، يقول من خلال وقفته الطويلة عند همزية زهير بن أبي سلمى : "هكذا نرى زهيرا يجعل لهذا الحمار أتانا واحدة، و السبب قد اتضح الأن ولا شك، وهو أنه يصف حمارا أول ما بلغ وصار يستطيع الزواج، فيبدأ في إستخلاص أنثى واحدة، وفيما بعد حين يزداد قوة و خبرة ستتبع إناث أخريات.[4]

---

1 - ادوارد وستر مارك: قصة الزواج، ترجمة: عبد المنعم الزيادي (القاهرة مكتبة نهضة مصر د ط ، د ت) ص 8-9.

2- الأعشى ، ديوانه ،تحقيق : محمد محمد حسين (بيروت: المكتب الشرقي ، د ط ، 1388-1968 ، ص 261.)

3- لبيد بن ربيعة ، ديوانه ، ص 28.

4- محمد النويهي ، الشعر الجاهلي ، منهج في دراسته و تقويمه (القاهرة الدار القومية للطباعة و النشر ، د ط ،د ت) ص 4

- ولقد صور الشعراء لوحات الأسرة الحيوانية و العلاقة بين الذكر و أنثاه حيث تحكمها قوانين المودة و الحب ورصد بعض ما يتصل من الطبائع و السلوكيات الخاصة بالمراودة و الزواج.

3-2 العلاقة الحميمية:

في مدونة الشعر الجاهلي ينطق الشعراء صراحة بوقوع الحب بين جنسي الحيوان، حيث أن الشاعر يتغزل بمحبوبته فصرف الناقد هذا البتين في معناه المباشر حيث بلغ من شدته و كثافته أن أفاض حتى طال ناقتها و بعيره ونال الحب و الإحترام حيث قال الشاعر :

- و أحبهـــــا و تحبنـــــي ويحب ناقتهـــــا بعيـــــري [1]

- وقد أشار بعض العلماء " أن الحيوان يعرف مشاعر الحب ويحس بها حتى كان بعضهم لشدة إيمانهم بهذه الحقيقة يتحدث عنها بحماسة وثقة [2] و أن بينهما الألفة و الوديين الذكر و الأنثى. ويلاحظ من خلال البيت السابق أن كثرة إلتقاء الشاعر بحبيبته و اجتماع البعير و الناقة فحصل بينها المودة و الالفة، خاصة أن اجتماعهما إلا ليلا.

ويقول البرد : "و البعير يحن كأشد الحنين إلى ألا فهذا أخذ من القطيع[3] ونحن لا يمكننا تصور هذا الحب الذي يتبادله الحيوان فيما بينه ولا ندرك طقوسه و شعائره ورغم ذلك "فأيا كانت الفروقات بين الحب الذي يجمع الرجل و المرأة و الحب بين ذكر و أنثى لدى الحيوانات، فجوهره واحد لا يغير. [4]

- و الأمر كذالك بالنسبة للتزاوج فلا ينفصل الفحل عن الإناث كالإبل مثلا " و أما في القطعان التي لا ينفصل فيها الفحل عن الإناث كالإبل مثلا فإن إهتياج الفحل و استعداد الأنثى للتلقيح لا يكون إلا زمن الربيع، و إن حصل بينهما إتصال في غيره فإنه يكون إتصالا باردا ولا ينتج عنه إخصاب في الغالب.

4- للمنخل اليشكري ، ينظر المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ص 529 .

1- ينظر: جفري ماسون ، عندما تبكي الفيلة (الحياة الإنفعالية لدى الحيوان) ص 17.

2- الكامل ،للمبرد، تحقيق محمد أحمد الدالي (بيروت: مؤسسة الرسالة ، ط 3 ، 1418ه / 1997م ، ص 1027.

3- جفري ماصون ، المرجع السابق،ص 165.

4- ينظر محمود محمد عبد العزيز ، الجمل العربي (مصر: مكتبة الاشعاع ، ط 1 ، 1999 ،ص 109 – 112).

كما أكد ابن سينا أن الربيع هو موسم التكاثر و التزاوج حيث قال :" و أعلم أن أكبر هيجان الحيوان عند إنسلاخ الشتاء و طلوع الربيع.[1]

ولقد جعل الله تعالى موسم الربيع للتزاوج و التكاثر لأنه أكثر ملائمة لوضع البيض و تربية الصغار، فالجو آخذ للدفء، و الغذاء ثر على وجه الأرض " فلا غرابة أن يولد الخشف عندما يبدأ العشب و الكلأ في النمو، وأن تفقس الطيور عندما يكون غذاؤها من الحشرات متاحا بوفرة كبيرة. [2]

- ومن النصوص التي سجلها الشعراء في وصف التقاء الذكور بالإناث يكون زمن الربيع وما يكون بينهما من تزاوج و علاقات حميمية.

1- الشفاء ،من الطبيعيات ، الحيوان ص 70.

2- حميد البياتي ، بيئة الحيوانات البرية ص 130 – 131 وينظر : مونرو فوكس شخصية الحيوان ، ص 97.

3 السيطرة :

1-3 الإمتلاك الجغرافي :

إن ما ذكرنا في حديثنا السابق حيث رأينا الوانا من الأسر الحيوانية وما تظم تلك الأسر من صغار، وما تجمعها من علاقات و صلات حميمية ، وبما ورد في (أسرة) الشعر كوننا نبحث سلوك الحيوان، فنجد أسرة الحمار الوحشي هي من ألمع الأسر الحيوانية في سماء الشعر فإن هذا السلوك الإحترازي لم يبد من ذكر حيواني أخر سواه، "و نعني به قيامه في ساعات محدودة بالصياح و النهيق بأشد ما يمكنه حتى يبلغ صوته أبعد مدى يستطيعه معلنا بذلك عن حدود مملكته الجغرافية و محذرا للذكور الأخرى من دخولها أو حتى الدنو منها [1]ولكن عادة يمارس هذا السلوك إلا في موسم التزاوج، كما لاحظ العلماء " أن هذا السلوك في فصيلة الطير أكثر في موسم التزاوج، حيث ينتصب الذكر على قمة الشجر و يشرع في التغريد معلنا عن حدود منطقته و مبديا إستعداده للزواج [2] وليست الإشارات الصوتية فقط هي التي تعبر عن تحديد المناطق و إعلان الملكية، فهناك أنواع كثيرة من الإشارات كوسم أشجار المنطقة و يترك عليها علامة خاصة بأظافره، أو ترك رائحة البول على بعض الحشائش وهذا ما يدل على تحديد تلك المنطقة " وربما ذهب بعض الذكور الى وسم اناثه الواقعة تحت سيطرته بالرائحة نفسها لتثبيت ملكيته عليها و لتعلم الذكور الأخرى أنها مملوكة للغير يحظر الاقتراب منها .[3]

- و الذكر له منطقته الجغرافية الخاصة به، فنجده يتجنب الصراعات و النزاعات مع الذكور الأخرى، و ذلك للحفاظ على سلامته و سلامة إناثه،فحدود منطقته توفر له ألوانا من العشب و الغذاء فتوفر له المرعى و لأفرد قطيعه، فلا يضطر للرحيل عنها. و مما سبق " اختلاء الذكر بالأنثى في بقعة تخصه دون تدخل الغرباء يخلق بينهما جوا من الألفة و الود ما يتيح لهما العيش بسلام وفي هدوء و سكينة [4] ولكن يجب أن نعلم أن المملكة الحيوانية لا تخلوا من الصراعات و النزاعات لأنها لا تمتلك بحائط أو سياج للحفاظ على المنطقة بل بعلامات و إشارات تدرك عبر السمع و الشم، لذلك فهناك دائما منافسين.

1- ينظر: دانييل بري فولت، التطور و السلوك الحيواني ، ص 133-143 و إبراهيم عيسى المدخل لدراسة أساسيات علم سلوك الحيوان ، ص 105-106 و 286-287.

2- ينظر: فانس باكارد: الجانب الإنساني عند الحيوان ، ترجمة سعد غزلان(القاهرة دار الفكر العربي ، د ط ، د ت) ص 156-157.

3- ينظر: عزالدين عيسى ، لغة الحيوان (الكويت: مجلة عالم الفكر ، مج 7 ، ع 2 1976م ، ص 162 و 187-188.

4- ينظر: مونرو فوكس : شخصية الحيوان ص 168.

2-3 القيادة :

إن القيادة أصل تقوم عليه الحياة فجعلها الله تعالى ركنا لا يستقيم أمر الخليقة إلا به، لذلك يرجع الأمر إلى الحيوان، وهذا ما يكفل لها البقاء و التعايش، فكثير من فصائل الحيوان وضع قانون القيادة الذي سنه على البشر فالكثرة العددية مظنة الصراع و الضياع، فيهيأ لها قائدا من جنسها يضبطها.

وقد روي عن أبي موسى الأشعري قوله :" إن لكل شيء سادة، حتى أن للنمل سادة[1] وينص كذلك الجاحظ على هذا السلوك لطابع الحيوان وعادته فيقول :" و من الحيوان ما يكون لكل جماعة منها رأس و أمير، و منها مالا يكون ذلك له، فأما الحيوان الذي لا يجد بداله ولا مصلحة لشأنه إلا في اتخاذ رئيس ورقيب فمثل ما يضع الناس... فأما الإبل و الحمير و البقر فأن الرياسة لفحل الهجمة و لعير العانة و لثور الربرب [2] وهنا لا يقتصر على دور القائد فقط في الأمر و النهي بل يتعدى إلى العناية التامة بكل فرد تحت يده.

وقال أيضا عن قائد الغرانيق فيما يرويه صاحب المنطق " فأما قائدها و سائقها و حارسها فإنه لا ينام إلا و هو مكشوف الرأس، وان نام فان نومه يكون اقل من الغشاش، وينظر في جميع النواحي فان أحس شيئا صاح بأعلى صوته [3] فقائد الحيوان يقوم بأكبر جهد و أعظم مشقة، لتنعم رعيته بالأمان.

ورعية قائد الحيوان تحاسبه و تعاقبه أشد معاقبة إن غفل عن مسؤوليته وواجباته اتجاهها بما انه هو القائد فهو مسؤول عن حمايتها.

وهناك أنواع من القيادة بين الحيوان تقسم إلى أربعة أصناف قيادة دائمة و مؤقتة، أنثوية و موسمية.

❖ القيادة الدائمة :

- ولقد صورت لنا النصوص الشعرية الجاهلية نموذجا لهذه القيادة من خلال ذلك التجمع القائم بين جماعات الإبل، حيث ان الإبل هو الذي يتولى قيادة النوق وهذا يتهن، و لكون جماعة الإبل دائمة الالتحام و التجمع فان القانون القيادي تكون له ضرورة ملحة، وهي في طبيعتهـــا .

1- الجاحظ ، الحيوان ، ج 4 ، ص 19.

2- الحيوان ، ج 5 ، ص 419 ، وينظر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تحقيق: عبد السلام هارون (بيروت ، دار الجيل ، ط 1 ، 1991م ، ج 3 ، ص 150.

3- المصدر السابق ، ج 5 ، ص 539

لا تتفرق في القفار، و من ابرز أدواره هداية إتباعه حين يضرب الجمع في مجاهل المفاوز حين يتقدم الجميع في قول لعمرو بن قميئة :

إذا ما تسربلن مجهولـــــــــة وراجعنا بعد الرسيـــم النقـــــلا

هداهن مشتهرا لاحقـــــــــا شديد المطايا ارحبيـــا جلالـــــه [1].

و هنا نرى أن القائد الفحل يختص بطبيعة خلقية تتسم بالشدة و الضخامة. و الجانب الخلقي هو من أهم المزايا المستحبة للقيادة وهنا ما أشار إليه ابن خلدون " وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم... من الحكم و الانقياد و الإتباع لرئيس من أشخاصها متميز عنهم في خلقه و جثمانه [2]وهذه من علامات القائد و معيار لا تتم القيادة إلا به.

❖ القيادة المؤقتة :

وتعني ذلك الاجتماع لأفراد فصيلة حيوانية وتكون بعدد قليل وهذا الاجتماع ينتهي بانقضاء الموقف الذي تم التجمع لأجله و يكون عادة إما لدفاع ضد العدو أو تعاونا من اجل تحصيل الزاد وابرز طائفة حيوانية تنتهج هذا السلوك هي الذئاب كما قرر العلماء سلوك الحيوان بقولهم " و باستطاعة أي مجموعة من الحيوانات القادرة على القتال ان تنشئ بينها تتابعا سياديا... و إننا لنشاهد هذه العادة في الذئاب التي تتجمع للهجوم على فريسة، أو لإقصاء ذئب دخيل [3].

وقد تطرق بعض الشعراء الجاهليين لهذا الضرب من ضروب القيادة من خلال بعض العلامات و الدلائل :

وماء كلون البول قد عاد أجنـــا قليل به الأصوات في كلأ محـــل

لقيت عليه الذئب يعوي كأنـــه خليع خلا من كل ماله و من أهل [4].

1- عمر بن قميئة ، ديوانه ، ص 160 – 161.

2- مقدمة إبن خلدون ، تحقيق: علي عبد الواحد وافي (القاهرة ، نهضة مصر ، ط 3 ، د ت) ج 1 ، ص 339.

3- جون بول سكوت ، سلوك الحيوان ، ص 218.

4- امرئ القيس ديوانه ، ص 363.

❖ القيادة الأنثوية :

يعد هذا النوع من أسرار الحيوان، ففي بعض التجمعات الحيوانية يكون الذكر غائب ولا يكون له أي دور في قيادة القطيع، فتأخذ الأنثى مكانه و تكون هي القائدة المسيطرة " وفي هذه الحالة التي يكون الذكر فيها حاضرا ضمن القطيع و غائبا عن القيادة هي من الاستثناءات غير المطردة في كل الفصائل الحيوانية [1] وتكون قيادة الأنثى في الغالب أثناء اختفاء الذكور من القطيع التي ينتهي سيادتها عليه بانتهاء موسم التزاوج، وبعد ذلك تتجمع الإناث وتختار الأنثى الأكبر سنا و الأكثر ذرية للقيادة و هكذا " لا يتعقد لواء الزعامة للذكور دائما، إذ لا تتودد الذكور على الإناث إلا في فصل التكاثر فقط، إما في الأوقات الأخرى من السنة فان النظام الاجتماعي بينها هو نضام تسود فيه الأم و تتسلط و تكون فيه ربة العائلة [2].

و يظهر هذا المظهر السلوكي في مدونة الشعر الجاهلي، ويبدو وضوحا في المشاهد التي تصور قطيع البقر الوحشي، حيث ان الشاعر يصور الأنثى التي تتولى القيادة و دقة الأمر و مسؤولية الأتباع.

- "أقتلك أم وحشية مسبوعـــــــة خذلت وهادية الصوار قوامهـــا [3].

❖ القيادة الموسمية :

وهذا النوع من القيادة يحدث أثناء الموسم الذي تهيج فيه الذكور فيتوجه كل منها نحو الإناث و محاولة السيطرة على عدد كبير منها، حتى هذا سكن الهيج و تزحزح الذكر عن منصب القيادة و انسحب من المجموعة منتظرا الموسم القادم ليمارس الذكور الشيء نفسه.

وهنا يعد الثور أحد الذكور التي تتولى القيادة في موسم التزاوج فقط و أبرز ما يتوجب على الذكر فعله هو توفير الأمن و الحماية و يتضح هذا السلوك في هذا النص :

ومعينا يحمي الصوار كأنـــــه متخمط قطم إذا ما بربـــــــــرا [4]

1- ينظر : جون بول سكوت ، سلوك الحيوان ، ص 214.

2- مونرو فوكس ، شخصية الحيوان ، ص 157.

3- لبيدبن ربيعة ، ديوانه ، ص 307.

4- - جابر بن حريش ، ينظر المرزوقي ، شرح ديوانه الحماسة ، ص 593.

فالحماية هنا فعل دائم متكرر منه، وكأنه لا شغل له غيره، و الذكر في موسم التزاوج يكون أكثر شراسة و أكثر عنفا ضد من يحاول الاقتراب من أنثاه، قال الجاحظ " و الفرس قد يقاتل الفرس في المروج إذا أراد ان يحمي الجحور، كما يحمي العير العانة و يقاتل دونها كل عير يريد مشاركته فيها و هذا الشيء يعرض لجميع الفحول في زمن الهيج [1].

وهنا القتال ليس له غاية سوى الإناث لحمايتهن و الدفاع عنهن، و القائد يكون في الغالب لديه مزايا جسدية تؤهله منصب القيادة و الثور يتمتع بكثير من هذه المزايا، فأهم ما يشغله هو توفير الحماية للإناث.

3-3- نفي الشركاء :

هذا السلوك تمارسه الفحول المسيطرة على الإناث بغرض إحكام السيطرة و محو أي اثر لمالك غيرها، و قيام القائد الجديد بالتخلص من الصغار الرضع في المجموعة إما بالقتل أو النفي بدافع السيطرة و لتدعيم ملكيته على الإناث وقد سجل الشعراء الجاهليون هذا السلوك السلطوي في الوحشية و الممتلئ بالأنا و الذاتية، إلا ان المشاهد التي سجلوها لم تتجاوز دائرة الحمار الوحشي الذي كثيرا ما يتلبس هذا الفعل فيعمد إلى القضاء على جحاش الأتن :

نفي جحشانها بجماد قـــــــو خليط ما يلام على الريـــــــال [2]

أشذ جحاشها وخلا يجـــــــون لواقح كالسقي و حائـــــــلات [3]

وسلوك الحمار الوحشي في نفي الشركاء سلوك لم تخلو محاولات تأويله من خلط و تخبط قديم حديث جاء في قول القزويني: "وإذا وضعت الجحش الأتان ولم تغرر به [من الفحل] حضاه [4].

- و فيما يتعلق بقضية السيطرة كما ذكر سابقا ان موسم التزاوج يشتد فيه صراع الذكور من اجل الحصول على الإناث فيحمل الذكر البالغ الشراسة في الدفاع عن أتنته، فلا احد يقترب منها و المشاركة فيها و لهذا قد يمتد غيظ الحمار فينال الجحاش الرضيعة فيميل إلى قتلها أو نفيها، فهو يأبى ان يشاركه احد في ممتلكاته حتى لو كان رضيع الأتان و لذلك تحصل هذه المأساة بسبب السيطرة و حب التملك.

1- الحيوان ، الجاحظ ، ج 7 ، ص 141 ، و ينظر: ج 4 ، ص 54 ، و نباهة الحيوان ، ص 209.

2- لبيد بن ربيعة ، ديوانه ، ص 81.

3- للشماخ ، ديوانه ، ص 68.

4- ديوان لبيد ، ديوانه ، ص 81.

4-3 الوحدة و التفرد :

عندما كان موسم التزاوج موسم القتال و النزاع بين الفحول فلابد ان ينتج عن هذا الصراع فئة غالبة تحضى بالإناث، و الفئة الأخرى تقرر الانسحاب من المواجهة بآثار جسدية و نفسية، و هذا المظهر السلوكي يظهر عند الذكور المنهزمة، فتقرر العيش وحيدة مبتعدة عن القطيع محرومة من الإناث، وعلم سلوك الحيوان الحديث يشرح و يفسر هذه العزلة التي تسببهـــــــا الجروح للذكر المنهزم في النزال " من الحيوانات الوحشية ما يلجأ الى العزلة و الخلوة التامة إذا أصيب بأي مكروه أو جرح [1].

وهذا السلوك نراه عند الثور و الحمار الوحشي، فقد صورها الشاعر الجاهلي في مشاهد تتخطى مراحل كثيرة ما سجلوه من مناظر الحمار الوحشي "أما صور الثور الوحشي التي تنص على عزلة في قطعة نائية من الأرض آوية تحت شجرة ارطاة تلفه الريح و يغسله المطر فإنها أكثر من ان تحد و سنكتفي بالإحالة إلى بعضها [2] وما يعنينا نحن من تلك المشاهد ان الذكر ذاته المتحصل على سلب ممتلكاته و عدم قدرته عن الدفاع عنها في النزال مما يسبب انسحابه كبير اليقافي حياته في قول الشاعر :

كأنما الرحل منها فوق ذي جدد ذب الرياد إلى الأشباح نظـــــــار

مطرد أفرزت عنه حلائلـــــــه من وحش خبة أو من وحش تعشار[3]

4 الصراع :

4-1 المطاردة و الافتراس :

توطنت بعض الأفكار في الأذهان تصور خاطئ عن حياة الحيوانات مفاده ان صلة الحيوانات ببعضها هي صلة عدائية بحتة، يحكمها قانون الافتراس، و يكثر فيها القتل ، حتى صاروا ينعتون بعض المجتمعات الإنسانية المضطربة التي تشيع فيها القتل و الفوضى ، بأنها محكومة بشريعة الغاب. " ان مما تجب معرفته ان الحيوان لا يمارس بعض السلوكيات المنحرفة التي يمارسها الإنسان ، فالحيوان لا يقدم على قتل بني جلدته، أي الأفراد المنتمين إلى فصيلته كما قرر العلماء سلوك الحيوان [4].

1- إبراهيم عيسى ، المدخل لدراسة أساسيات علم سلوك الحيوان ، ص 278.

2- ينظر: عبيد بن الأبرص ، ديوانه ، ص 32.

3- النابغة الذبياني ، ديوانه ، ص 203.

4- ينظر: جون بول سكوت ، سلوك الحيوان ، ص 22.

وصورة القتل الوحيدة التي يرتكبها هي افتراس الآخرين من خارج فصيلته ، وهنا يجب التنبيه بأنه لا يفعل ذلك إلا بدافع الحاجة و إلحاح الجوع [1] .

فدافعه ليس الاعتداء المجرد بل الاستجابة لحاجة التشبث بالبقاء، أي ان الحاجة الوجودية هي المحرك لكافة أعمال الافتراس الحيوانية وهو ما قرره الجاحظ بقوله عن الأسد : " و الأسد ليس يثب على الإنسان و الحمار و البقر و الشاة من جهة العداوة، م إنما يثب عليه من طريق طلب المطعم، ولو مر به و هو غير جائع يعرض له الأسد [2] و إضافة إلى هذا فقد قرر العلماء سلوك الحيوان ان المواقف التي يقع فيها الصراع مرير بين الحيوان هي نادرة للغاية و ان الحيوانات المفترسة تعيش حياة تخالف تماما حياة تلك الحيوانات الدموية الباطشة التي يجيء ذكرها في القصص و الأساطير[3] .

و من هنا يجب علينا إجراء تعديل للصورة الذهنية المتعلقة بقضية الصراع لدى الحيوان.

و يتتبع مشاهد الاعتداء بين أنواع الحيوان في مدونة الشعر الصعاليك نعثر على ثلاث صور رئيسية : الأولى مطاردة الصقر للقطات ، و الثانية هجوم العقاب على أصناف من الحيوان ترددت بين الثعلب و الغزال و الأرنب ، الذئب. أما الثالثة فهي مشاهد العراك بين الثور الوحشي أو البقر الوحشية و بين الكلاب . وهذه الصورة الأخيرة ليست حيوانية خالصة لأنها تنظم من جهة القانص الذي يخرج بكلابه فيهيجها على الثور . و إلى جانب هذه الصور الثلاث هناك صورتان فرعيتان إحداهما للنمر و الأخرى للذئب، و إنما كانتا فرعيتين لان الطرف المقابل في المواجهة إنسان لا حيوان إضافة إلى ان مشهد الاعتداء في هاتين الصورتين مختلف منهما.

نود الإشارة إلى ملمح دقيق في الصورتين الأولين، هو ان الشعراء سجلوا مشاهد المطاردة بين الطير في سياق الفخر.

يختلف الشعراء بعد ذلك في توظيف معطيات البيئة، وهو اختلاف نابع مما استقر في معارفهم حول أنواع الطير و طاقة كل نوع.

1- ينظر: جيفري ماسون ، عندما تبكي الفيلة ، (الحياة الإنفعالية عند الحيوان) ص 117.

2- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، ط 5 ، 1998م ، ص 355.

3- ينظر: جون بول سكوت ، سلوك الحيوان ، ص 315.

ان المطاردة تبدو أحداثها قريبا من عيني الشاعر، ما له الإحاطة بأشكال و صور لم تكن متاحة له من أشكال و صور و مظاهر أخرى فصور الشاعر المطاردة ظاهرها و باطنها ، فهي تنعت الأحداث ظاهريا فتصف الهروب و القتال. كما تتيح الاطلاع على باطن الحدث عبر كشفها عما يعتلج في الجانب النفسي لطرف في المطاردة. قد قيل :" ان الكلب لا يصيد كارها ولا يتبع حين يشبع [1] ومنه ان سياسة التجويع تؤدي إلى المطاردة و الافتراس مـــــن

اجل إشباع بطونها و يبين هذا في شعر الصعاليك. وهذا ما أراد ان يوضحه الشاعر.

2-4 الاحتيال و التخفي :

- ان حياة الصراع التي يعيشها الحيوان تستوجب عليه انتهاج ألوان من السلوك يوظفها في عملية الصراع، سواء كان الصراع قائما أو منتظرا، وسواء كان الممارس لذلك السلوك المعتدي أو المعتدى عليه. ويأتي سلوك الاحتيال و التخفي على رأس هذه السلوكيات، وهو سلوك مشترك بين كافة أصناف الحيوان المفترسة وكذا المفترسة. فالأولى تريد الإجهاز على فرائسها بأقل جهد، لان طول زمن المطاردة قد يؤدي إلى فوات الطريدة، خاصة ان غالب الحيوانات المفترسة ذات جهد قصير في الطرد، أما الحيوانات المفترسة. فإنها كذلك تنتهج الحيلة و الاختفاء لتأمن على حياتها.

- ربما كان أشهر فصائل الحيوان بالحيلة و المراوغة هو الثعلب. فالثعلب يراوغ ويحتال اما لتحصيل زاده او للنجاة بنفسه . قال الجاحظ بعد إيراد ما يحكى عنه من حيل " فان كان هذا الحديث حقا فما أعجبه، و ان كان باطلا فإنهم لم يجعلوه له إلا للفصيلة التي فيه، من الخبث و الكيس [2] .

- فشعر الصعاليك أشار إلى أنواع الحيوان التي تمارس الاحتيال فتلك المفترسة نرى حيلها في الهجوم و طرد الفرائس فمن ذلك الذئب الذي هو نوع من السباع المشتهرة بصفة الختل . يعرف بتنبئ و تخطيط و المعرفة بطبيعة الخصم . أورد الجاحظ في كتابه الحيوان " .... أن الذئب إنما يعدو عليها مع الصبح عند فتور الكلب عن النباح لأنه بات ليلة كلها دائبا يقضان يحرس، فلما جاء الصبح جاء وقت نوم الكلاب و ما يعتريها من النعاس[3].

1- الثعالبي ، التمثيل و المحاضرة ، ص 353.

2-الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر ، الحيوان ، ط 6 ، ص 306.

3- الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر ، الحيوان ، ط 2 ، ص 277.

ومن هذا يؤكد ان غارات الذئاب غارات متقنة يعمل فيها عملا قائما على التخطيط و الاحتيال.

ان الحيلة من قبل الحيوان سلوك متبع في عمليات الغزو يقصد منه بلوغ الهدف بأقل قدر من الأخطار. لذا يستثمر جهده القصير عبر تقصير زمن المطاردة و كذا مسافاتها. فلذا يضل الحيوان متمسكا بالاحتيال و التخفي.

كما يستعمل الحيوان الحيلة و التخفي للافتراس يستعمله أيضا للهروب من المفترس لتنجو بنفسها قد تستعمل الحيلة كذلك للانتقام من المفترس.

- حتى اجبن الحيوانات مثل الأرنب يستعمل حيلته من اجل إجلاء الطعام وربما من كثرة خوفها هو ما يدفعها إلى الاحتيال ويكشف الجاحظ بقوله : "وفيها التوبير الذي ليس شيء من الدواب التي تحتال بذلك ، صائدة كانت أو مصيدة ، وهو الوطء على مؤخر القوائم كي لا تعرف الكلاب أثارها [1].

- لذى تحتال الأرانب لتصدى الأذى عن نفسها. فسلوك الاحتيال خاص بالحيوان من اجل سلامة حياتها أو إشباع بطنها.

3-4 العدو و الفرار :

- كانت مناظر عدو الحيوان نقطة جذب التف حولها كثير من الشعراء لما فيها من الإثارة المتحصلة في الغالب من الصراع الحي بين الحياة و الموت، وهو صراع يعانيه الشعراء أنفسهم، وهاهم يرون صورة منه ماثلة أمامهم، لكن ما يلحظ في تلك الصور كثرة انتصار الحياة على الموت . إذ أن الحيوان الهارب ذو قدرة عالية على الانفلات من قبضة الموت. وهذه السرعة هي ما حصل الشعراء إلى إبرازها ، ربما لأنها لامسة في عقلهم الباطن استحسانا لقدرتها على قهر الفناء ، ومن هنا أفاض الشعراء في نعتها و الحديث من سلوكيات الحيوان خلال عدوه . ومن ذلك إشارتهم إلى أن الحيوان حين ينطلق عاديا لا يسير بخط مستقيم بل يميل إلى أحد جانبيه الذي يسمونه <<الوحشي>>الذي يخطئ سهم القانص مما أدى إلى اختلاف أصحاب اللغة في تعيين هذه الجهة هل هي اليمنى أم اليسرى[2] ؟ شبه بكفة الميزان فيقول " وليس في الأرض هارب من حرب أو غيرها إستعمل الحضر إلا أخذ على يساره [3].

1- الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر ، الحيوان ، ط 6 ، ص 357.
2- إبن منضور ، لسان العرب ، (مادة الوحش) ص 371.
3- المصدر السابق: الحيوان ، ط 5 ، ص 512.

فالحيوان يعدو و يفر عند الهجوم على فريسته أو يفر عند مطاردته لنجاة فسرعة العدو تكون لدى الذكر أكثر من الأنثى وذلك لقدرته على المقاومة و إتحاله بالقدرة.

أدرك شعراء الصعاليك خلال تتبعهم لسلوك الحيوان أثر الخوف في مضاعفة سرعة الفرار ، فاستثمروا هذا الملمح بسرعتهم و فرارهم عند نهبهم للقبائل أو الرحالة إذ يشبهونها بسرعة الحيوانات عند عدوها لالتقاط فريستها أو فرارها من مفترسيها أو فزعها.

- فالتقطت عيون الشعراء من صور فرار الحيوان على الأراضي من فزع و مطاردة و افتراس وهذا سلوك يتصف به أيضا الحيوان و يتميز به.

الفصل الثاني

وصف الحيوان عند الصعاليك

الفصـــل الثانـــــي

المبحث الأول : صورة الحيوان في شعر الصعاليك .

1- وصـــــــف الطيـــــور .

2- وصـــــــف الخيـــــل .

3- وصـــــــف الناقـــــة .

4- الثـــــــور الوحشـــي .

5- الأســـــــــــــد .

6- الضـــــــــــــبع .

7- الـــذئـــــــــــب .

8- حـــــــمار الـــوحشـــي .

المبحث الأول : صورة الحيوان في شعر الصعاليك .

1 وصف الطيور :

الحمام لفظ عام يطلق على العديد من انواع الحمام و اليمام ، و القمري و إتخذ من صوته الشعبي دالا على البكاء و إثارة الأحزان و هذا ما دفع بالشعراء من اتخاذ خصوصيته هذه ما ينسجم مع إيحاءات صوره في تشبيهاتهم ، فرأوا فيها العشق و الحب و الألفة كما رأوا فيها الحزن و البكاء وقد اقترن ذكر الحمام في شعر الصعاليك بالشجن و الحزن ، حيث اتخذوا من صوته و لونه وشكله ما يستثيروا مشاعرهم .

1-1 صخر الغي :

إرتبطت صورة هذا الطائر بدلالة الحزن و الفقد في الموروث الشعري ،فصخر الغي فجع بموت والده ، وكان أقرب إلى نفسه ، فبكي عليه بدموع لا ترقأ فعقد مقارنة بين بكائه على والده (تليد) ، وبكاء الحمامة على (سارق الحر) فيقول :

وذكرني بكائي على تليـــــد حمامة مر جاوبت الحماما

ترجع منطقا عجبا و أوفـــت كنائحة أتت نوحـــا قياما

تنادي ساق حر وظلت أدعـــو تليد ألا تبين به الكلاما[1]

إن بكاء الحمامة على (ساق الحر) ، في خيال الجاهلي ثابت على الأيام ، لا نه ظل يردد زمنا طويلا ، وهو دلالة على حب لا لوفاء، ولذا وجد في طائر الحمام و صوته باعثا للذكرى ومثيرا للأشخاص و الأحزان ، ومنه أصبح أنموذجا للتمثيل به و هذا ما حدث لصخر الغي، إذ رأى في دوام حزنه و بكائه ، شبها لحزن الحمامة ، وقد اتخذها وسيلة للتعبير عن مشاعره الحزينة تجاه من فقده من الأحباب وهذا ما دفع بصخر الغي أن يوظف دلالة هذا الطائر في تجاربه الشعرية .

ولقد اتبع صخر الغي غرض الرثاء، استخدم الحمام في شعره عن صدق المشاعر و شدة الإحساس بالألم و الحزن و إزاء فجيعته بإبنه لإثارة الشوق في نفسه .

1- شرح أشعار الهذليين ، أبي سعيد الحسن بن الحسين اليشكري ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ج1 – ص237 .

2-1 وصف العقاب :

1-2-1 صخر الغي :

و رأينا العقاب في الشعر الجاهلي تمثل رمز للقوة والفتك بالفرائس فإن صورتها في شعر الصعاليك عند صخر الغي اتخذت دلالة أخرى ، تمثلت في عجزها و ضعفها و نفاذ قوتها أمام حوادث الدهر. وكشف صخر الغي هذا عندما شبه أخاه بالعقاب في رثائه له ، إن نهشته حية فمات بقول :

للدهر فتخاء الجناحين لقـــــوة توسد فرخيها لحوم الأرانـــــــب

كأن قوب الطير عند مبيتهـــــا نوى القسب يلقى عن بعض المتأدب

فمرت على ريد فأعنت بعضها فخرت على الرجلين أخيب خائـــب

بمتلفة قفر كأن جناحـــــــــها إذ نهضت في جو مخراق لاعـــــب

فلم يرها الفرخان عند مبيتهـــا فلم يهدأ في عشها من تجـــــــاوب

فذلك مما أحدث الدهر انـــــه له كل مطلوب حثيث و طالـــــــب [1]

فالشاعر هنا صور لنا العقاب في موقفين متناقضين ، تمثل الأول في القوة و الحياة الهانئة التي عاشتها العقاب وفراخها ومثل الموقف الثاني في عجزها و ضعفها امام القدر المترصد الذي كان سببا في هلاكها .

بدأت القصة بتصوير الحياة التي عليها العقاب و فراخها فن المظاهر التي برزت هذه الحياة توسد فرخيها لحوم الارانب و قلوب الخير الكثيرة المبثوثة حول وكرها و التي شبت القسب (يلقى عن المآب) وهي على هذا الحال ، إذا رأت غزالا (لدى سمرات) فتحركت في نفسها نزعة التملك فانقضت على الغزال بسرعة البرق، دون أن تعي ما حولها ، فكل ما يشغل بالها و تفكيرها الصيد السمين ، الذي ستهيئه لفراخها ، و بذلك تكون قد ضمنت حياتها و حياة أبنائها فالعقاب على قسوتها كانت تقوم بواجب الأمومة .

1- شرح اشعار الهذليين أبي سعيد الحسن بن الحسين ،ج1 ، ص 245 ، 246 .

لكن الدهر يخبئ لها مفاجأة لم تكن في الحسبان ، فقد هيأ لها القدر مفاجأة مميتة حين قادها خطاها البائس و السيء الى صخرة صماء ، ارتطمت بها ارتطاما ادى إلى تحطيم اعضاءها (فخرت على الرجلين أخيب خائب) فصرعها القدر قبل ان تصرع فريستها ،وابعد مخالبها عن الغزال ، الذي لا يقاوم لضعفه و قلة حيلته .

فهو أضعف من ان يصمد لقوتها الجبارة ، فكان هلاكها السبب مباشر لهلاك فرخها . [1]

فالشاعر هنا يحدثنا في قصيدته على حتمية الفناء لكل شيء ،و قد وفق من خلالها لتصوير ما حدث لأخيه، فصورة العقاب معادلا لشخصية أخيه المرثي ، الذي أصبح عاجزا بعد ان نهشته الحية كعجز العقاب عن إسعاف نفسها ، وان يجعل الصخرة (التي اعترضت العقاب) ، تماثل (التي نهشت أبا عمر و اخا صخر الغي) ،فعطلت اندفاعه في الحياة و كلاهما ساقه القدر، إلى المثوى الاخير فكلا من الصخرة و الحية عائق يسره القدر فليست هناك قوة خارج قوته يقول :

- **صخر الغي** : لعمر أبي عمر ولقد ساقه المنا إلى جدث يوزى بالأهاضيب .

لحية قفرني و جار مقيمـــــة تنمى سوق المنار و الجوالـــــــب

أخي لا أخالي بعده سقت بـــه منيته جمع الرقى و الطبائـــــــــب [2]

1-2-3 أبو الخرش الهذلي :

وقد اتخذ أبو الخرش الهذلي العقاب من خلال سلاحه الذي يطلب به أعداءه كما تطلب العقاب فريستها ، و تلتقي صورة العقاب بالشاعر كونها جريمة و في هذا أشار إلى ان العقاب الموت وقسوة قلب و إنما تسير وفق الحياة و الموت التي جلب عليها ، والعقاب هو صورة عن الموت فهو موت من أجل

1- عبد القادر الرباعي ،الطير وعالمه الحيواني في الشعر الجاهلي ، ص 93 .

2- المرجع نفسه ص93 ، 94 .

إطعام الأهل و الأولاد و إسعادهم ، و صور الشاعر ان للعقاب فرخين ماتت و تركتهما في جوف وكرها

و الوكر هنا يقصد به مقبرة لقلوب الاخرين ، فهذا هو قانون الدهر في نظر الشاعر و يقصد من الوصف هذا رثاء أخيه عروة الذي ترك أولاده فيقول :

وقد ترك الفرخان في جوف وكرها ببلدة لا مولى و لا عبد كاســـــب

ريحان ينضاعان في الفجر كلـــما أحسا دوي الريح أو صوت تاعب

لم يرها فرخان عنـــــــد مسائـها ولم يهدأ في عشها من تجـــاوب

فذلك مما يحدث الدهـــر إنـــــه له كل مطلوب حثيث وطالـــــب [1]

3-2-1 –تأبط شرا :

يصف سرعة عدوه بقوله :

نجوت منها نجائي من نجيلة إذا ألقيت ليلة خبيت الرهط أرواقي [2]

يصف لنا الشاعر هنا من خلال هذا البيت عدوه و سرعة تخلصه من اعدائه و نجاته منهم .

فبين لنا صورة النسر عن طريق الاستعارة فأبقى على لازمة للتشبيه وهي مكانه الذي يطير منه وضع صورة النسر هنا ليظهر صورته هو .

1- أبو خراش الهذلي ، ديوان الهذليين ، ص 116 .

2- ديوان تأبط شرا ، ص 27 .

ومنه هنا يظهر الشاعر سرعة عدوه وينفي شيئا أسرع منه ، و أراد أيضا أن يوضح الخطر الذي يعيشه لذا زادت سرعته فصور هنا أن سرعته كانت أسرع من النسر عند التقاطه لفريسته ، و هذا ما دفع لتأبط شرا أن يصف نفسه بالنسر وصف السرعة لتخلص من عدائه و سعة بالنسبة لتأبط شرا إحدى الأسلحة التي يمتلكونها و شبه تأبط شرا بصورة النسر التي تمثلت في الضعف و الانحطاط وعجزه امام ظروف الحياة التي فرضتها عليه .

كهذا يصور تأبط شرا صورة حياته بالضعف و إحساس بالموت و مصارعته لحياته و في هذا يقول :

نجز رقابهم حتى نزعنـــــــا و أنف الموت منخره رميـم

و إن تقع النسور على يومـــــا فلحم المعتفي لحم كريـــــم [1]

4-2-1 الشنـــــــــفري :

وتشرب أساري القطا الكدر بعدما سرت قربا أحناؤها تتصلصـــــــل

هممت وابتـــــدرنا و أسدلـــــــــت وشمر مني فارط متمهـــــــــــل

و كان وغاها حجرتيه وحولـــــــــه أضاميم من سفر القبائل نـــــــزل

فغبت غشاشا ثم مرت كأنـــــــــها مع الصبح ركب من أحاضة مجفل [2]

صور الشاعر من خلال هذه الأبيات صورة تشكل الصورة العامة للقطا وهي تسابق الشاعر إلى ورد وقد استهلها بتصوير شدة عطشها فيقول إني أرد الماء قبل القطا على رغم من انها أسرع الطيور فتشرب فضلاتي وقد بلغ منها العطش مبلغه تصوت منه أحشاؤها .

صور الشاعر دقة احساس بعطش القطا ، ووصف صورة حركتها وسيرها ، صور أنه سابق القطا قاصدا الماء فكان سيره سريعا .

أما سير القطا فثقيل ووصف سير القطا بسير المرخي ثوبه ومن هذا صور الشاعر معاناة و حزن القطا و عجزها و ضعفها و بين معاناتها من خلال مشيتها ومنه شبه ضعفه و معاناته بهذا الطائر الضعيف .

---

1 –تأبط شرا ، ديوانه ، ص 20 .

2- الشنفري ، عمر بن مالك ، ديوانه ، ص 66 .

وصور أيضا هذا الضعف للقطا من خلال خوفه منه بعد ابتعاده و كيف تساقطت حول الحوض من شدة العطش كأنها تريد أن تتدارك شيئا فاتها . فالشاعر هنا وصف حواسه لاكتشاف خبايا تلك القطا ووصف أيضا سرعة سيره و نسب سرعة عدوه إلى هذا القطا الذي سار بسرعة نحو الماء مثل سرعة الشنفري عند نهبه أو هربه .

و في موقع اخر وصف الشنفرى القطا وهي تتوافد و تجتمع حول الماء مثل الإبل لأجل الشرب .وهذه الصورة تعبر عن الصراع الذي يعيشه الشاعر .

فصورة القطا تمثل مظهر العطش و الظمأ و الطير بصفة عامة يمثل تكملة للصورة الإجتماعية و النفسية عند الشنفرى تكافح هي الاخرى من اجل الباقاء و هذه الصورة مثلت له الحياة الواقعية التي يعيشها يقول :

توفين من شتى إليه فضمها كما ضم أذواد الأصاريم ضمل [1]

و في الصورة أخرى لطير عن الشنفرى عمدا أن يقودنا إلى علاقة أخرى بين الطير و حياته وهي علاقة دافئة هي علاقة الحمامة (بساق الحر) و قد ابرزها بوضوح حيث وازن بين حياته و بين الحمامة و صور لنا هذه الصورة بأن الحمامة عزيز عليها وهي تصيح على ساق الحر و كانت قد فقدته من عهد ثمود كما يعتقدون .

وفي هذا يقول الشنفرى :

و نائحة اوحيت في الصبح سمعها فزيغ فؤادي واشمأز و أنكـــــــر

فخفضت جأشي ثم قلت : حمامة دعت " ساق الحر" في حمام تنفرا [2]

فالشنفرى منا اشمئز من الموت الحزين للحمامة و انكره ، و لكن تراجع حين تذكر أن هذا الحزن قديم يعود تاريخه إلى يوم أن ناحت الحمامة على " ساق الحر" أي بدايات الكون و الحياة التي يعرفون إن بكاء الحمامة على ساق الحر هو دلالة على الحب و الوفاء و هذا اما رأى الشنفرى حزنه دائم بكائه .

1- الشنفرى، ديوانه ، ص 67 .

2- المرجع نفسه ، ص 35 .

شبها لحزن الحمام وصف هنا الحمام بالحزن و عبر عنه بالفرض الرثاء و جعل صورته و صورة الحمام متماثلتان .

5-2-1 عمرو بن البراقة :

إن عمرو بن البراقة يصف حياته و الأشياء التي يحبها فهو يحب العيش بإنفراد في عزلة بعيد عن التجمعات فجعل لنفسه عالما خاصا به في المملكة فحينها يوغل الليل في الدجى ، و حينما يوغل كل شيء في النوم و هنا شبه نفسه بالبوم حين يصفو للبوم و يتحمل هو إلى قوة ضاربة .

فالبوم يحب السكينة و الوحدة فشبه صورة البوم و طريقة عيشه بحياته هو . فالبوم عند صياحه يعبر عن حزنه وآلامه ووحدته هكذا عمرو بن البراقة يعبر عن آلامه ووحدته في الليل و عدا لليل وقت التعبير عن الآلام و العيش في انعزال عن التجمعات ورسم لنا صورة تصعلكه و فتكه بقوله :

إن الليل أدبى و اكفهر ظلامه و صاح من الإفراط بوم جواثـم

ومال بأصحاب الكرى غالباته فإني على امر الغاية حـــــــازم [1]

1- عمرو بن البراقة الهمداني (سيرته و شعره) د شريف راغب علاونة الأردن 2005 ، ص 35

6-2-1 أبو الخراش الهذلي :

يصف أبو الخرش الهذلي الطير الجارح من باقي الطيور بأنه له قدره مذهلة على رؤية الطرائد و هذا عند الصقر الذي إلتقطت عينة أرنبا من مكان قطي يخفق دونه السراب نحوه كالشهاب الساقط

يقول :

ولا أمعز الساقين ظل كأنـــــه على محزئلات الاكام نصيـــــل

رأى أرنبا من حواعول اشـــرج بعيد عليهن الشراب يـــــــزول

فضم جناحيه ومن دون ما تـــرى بلاد وحوش أمرع و محـــــــول [1]

ومنه فإن أبو الخرش يصور لنا صورة الصقر وهو يطارد فريسته ينطلق بسرعة الشهاب نحو فريسته ، و هذا يدل على أن أبا الخرش يصف سرعة عدوه عن نهب أو حصوله على غذائه أو مطاردته من طرف العدو ، فيعدو بسرعة الصقر ، وصف لنا قوة الصقر في سرعته عن مطاردة فريسته و صور لنا نفسه بصورة هذا الصقر في سرعة عدوه .

وقد وصف الشاعر هنا الصقر حين انقض على الأرنب وجعل منها قصة و دعوة الأهل لتقبل حقيقة الموت و الكف عن الجزع من مصير محتوم لا يهرب منه أحد و قد كان يحمل الصقر الموت لغيره وهذه القصة مرتبطة برثاء أخيه عروة فاتخذ الطير صورة ليعبر عن نفسه برثائه على أخيه .

1- أبو خراش الهذلي، ديوان الهذليين ص 121 .

2 – وصف الخيل :

تحتل الفرس مكانة مهمة في القصيدة الجاهلية ، فهو حيوان الحرب و السلم معا ، يستعيد الشاعر من خلاله بطولاته القتالية ، و يشحذ به الهمم للذود عن الحياض ، مما يسمو بالخيال و يبعث التصورات الأسطورية للفرس بوصفها رمزا للحياة و التجدد .

2-1- الشنفرى :

نجد الشنفرى الشاعر الصعلوك الذي كان يشكو الجوع و التشرد في شعره ، فقد كان يخلق على فرسه بعض الصفات الإنسانية حتى غدا الفرس معا دلا موضوعيا لهذا الصعلوك الجائع ، فهو ضعيف هزيل من شدة جوعه وكذلك يبدو فرسه هزيلا مثل صاحبه غير انه شجاع مقدام ، هكذا وصف الشنفرى فرسه اليحموم :

لا عيب في اليحموم غير هزاله على أنه يوم الهياج سمين

وكم من عظيم الخلق عبل موثق حواه وفيه بعد ذاك جنون [1]

صور لنا الشنفرى فرسه اليحموم فتحدث عنه بكلام طريف و جميل فذكر لنا ان فرسه ليس عيب سوى انه هزل . لكنه جرئ مقدام ، وصف الشنفرى فرسه في هذين البيتين أن خيله لم تبخل عليه في القتال رغم هزله إلا أنه وجده و ساعده في القتال ، و أن الخيل السمينة لا تستطيع الوقوف أمامه فأعطى لنا الشنفرى صورة تضفي صفات التصعلك على جواده ، فهو جواد هزيل كما حبه ، جنى عليه الفقر ، ولكنه صاحبه أيضا جريء مقدام كأنما يشعر صاحبه و ان نفس الصفات تنطبق عليها " بان الحق للقوة و ان الرزق في الشجاعة " [2] ومنه أن الشنفرى و صف الخيل على أنه صاحبه الذي يتخلله و يقاسمه هذه الحياة الصحراوية .

1- الشنفرى ، عمرو بن مالك ، ديوانه ، ص 77 .

2- ينظر يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ط2 ، دار المعارف القاهرة 1966 ، ص 229 .

2-2 – تأبط شرا :

يقول تأبط شرا واصفا الفرس :

يسري على الأين و الحيات محتفيا نفسي فداؤك ، من ستار على ســـــاق

إني إذا خلة ضنت بنائلـــــــــــــها و أصكت بضعيف الوصل أحـــــــذاق [1]

صور لنا تأبط شرا عن طريق تشبيهه بكلمة الخلة فوصف لنا الخيل هنا على انه صديقه و خليله الذي يتحمل و يصبر معه على ما يعيشه من أذى و مشقة ، ووصف نفسه يمشي و يعود حافيا مثل الخيل و شبه نفسه في سرعته بالخيل عند عدوه ، ووصف نفسه و الخيل بأنهم يمتازون بالشدة و الصبر على الأذى و المشقة ، و عند وصف الخيل بالصديق و الخليل يبرز من خلال هذا ان الخيل حيوان إجتماعي .

3-2 – عروة بن الورد :

نجد عروة صور صاحبه الخيل بقوله :

تقول لك الويلات هل انت تارك ضبوء برجل تارة و بمنسر [2]

صور لنا عروة الخيل على انه صديقه و أنيسه وهو يشاركه في حياته أن كلاهما يتصفان بالقوة و الفروسية و أنهم لا يجزعون خوفا من الموت . فهو يتخذ الخيل عند غزوه لا كتساب الرزق للفقراء ليوفر حياة كريمة للفقراء ، أنه معرض للموت هو و خيله و هذا ما دفعه ليصور قوة هذا الخيل لذا اتخذه صاحبا له و بين غرضه منه أنه يفتخر بقوة هذا الخيل و فروسية رغم انه معرض للموت .

4-2 – عمرو بن الالبراقة :

هكذا أيضا وصفا ، عمرو بن البراقة خيله التي عدها صديقه و انها قريب منه و انه اشتهر بفروسيته و شجاعته ، أن الخيل هو من كان أنيسه و اتخذ فروسيته من خيله ، أن خيله خاض معه الحرب و خرجت منها محجله بالدم يقول :

1- تأبط شرا ، ديوانه ،ص 127 .

2- عروة بن الورد ، ديوانه ، ص 67 .

ورب طموح في العنان تركتها بسائلة الحصاص ملقى لجامها

و عادية سوم الجراد وزعتها بطعن كساها منه ردعا كلامها

دنوت لها تحت العجاج فأدبرت شواكلها اليسرى كثيرا منها مها [1]

وصف عمرو الخيل بالقوة و الشجاعة وعدها من أقرب الناس إليه و أنه لا يتخلى عنها و يتاقسم معها حال عيشه و أنه لا يبيع خيله مهما منا قت به سبل العيش في سنوات القطط ، أن عمرو لا يتخلى عن خيله و يتقاسم طعام بيته بين أبنائه و خيله فيقول :

غبرت خيلنا نقاسمها القـــــو ت ولم يبقى حاصد المحل عودا

شتوة توسع الجمال لها الرس ل و نسقي عيا لنا تصـــــــريدا

ذاك حتى إذا الربيع نفى الأز مة قدنا بـــــها شياطين قـــــودا [2]

وصف عمرو خيله وافتخر بها بشجاعته و قوته ورغم وصفه و حبه له إلا أنه لم يذكر اسم خيله مثل رفاقه الصعاليك أمثال السليك و الشنفرى .

2 – 5 – السليك بن السلكة :

كما ذهب سليك بن سلكة بوصف خليه أيضا التي عدها صديقه و عبر عن مجدته له قسماها النحام يقول:

كأن قوائم النحام لمـــــا تحمل صحبتي أصلا محـــــار [3]

فوضع سليك صورة الخيل بالصديق المقرب و المحبب إليه و أنهما يتشار كان في صورة واحدة تجمعهما وهي القوة و الشجاعة و افتخر بها ووصفها أن وجهها يضيء اشراقا و لمعانا فيقول السليك :

1- عمرو بن البراقة ، ديوانه ، ص 112 .

2- المرجع نفسه ص 93 .

3 – سليك بن سلكه ديوانه ، ص 89 .

فضاربت أولى الخيل حتى كأنها أميل عليها أبدع وصبيب [1]

أبرز الشاعر في هذا البيت صورة تدل على قوة الشاعر و الخيل و شراسته في المعركة فذكر الشاعر صورة ألون أحمر بلفظة حبيب التي تدل على الدم فهذه الصورة تعبيرا دقيقا عن صورة مواجهة الشاعر و الخيل للعدو فحاول الشاعر إعطاء ، صورة تصف قوة من خيله الذي أعده صديقا و خليلا له و مواجهة الصعاب معا وتصافهم بالقوة و الشجاعة .

2 -6 – قيس بن الحدادية :

فقد جاء قيس بن الحدادية ليرسم صورة قوته و فروسيته و شجاعته ، فوصف قيس الخيل بالأصالة و أن خيله هي رفيقته الدائم في مواجهة الصعاب و الطبيعة الصحراوية وهو من عاش معه تشرده ، وصف خيله بأنها حافية ، الحوافر مثله ومن وصفه هذا وضع الخيل في صورة الرفيق فافتخر بفروسية خليه ووصفها أنها تتحمل المصاعب و المشقات فذهب بها إلى لية وهي مدينة في نواحي الطائف و زار بها أيضا جحفة وهي طريق الشام و مصر ، فصور لنا قيس أن هو خليه سارا على مسار واحد تقاسم معيشته من خلال ذكره للمناطق التي زارها معا يقول :

نحن جلبنا الخيل من بطن لية و جلوان جودا متعلات ووقـــحا

فأصبحن قد جاوزن مرا وجحفة و جاوزن من أكناف نحله أبطحا[2]

2-7 – صخر الغي :

فجاء صخر الغي واصفا خيله بالقوة و الفروسية وصف سرعة عدوه وافتخر به لسرعته ، رسم صورة الخيل بالصديق المتشرد ، وصفه بالسرعة و الصوره تشبهه به في السرعة ، أنه جال طرق الصحراء و بعض مناطقها مثله ، وعاشا حياة التشرد و ذكر بعض المناطق التي جالها هو و خيله يقول:

هم جلبوا الخيل من ألومة أو من بطن عمق كأنها البجد [3]

1- سليك بن سلكه ديوانه ، ص 81 .

2- حاتم صالح الضامن ، عشرة شعراء مقلون ، ط ، بغداد ،1990 ، ص 33 . 3

3– أبو سعيد الحسن السكري ، ج 1 ، ص 59 .

3- النـــــاقـــــة :

عني الشاعر الجاهلي بالناقة فقدها عماده و سبب وجوده ، فهي مصدر الخير و الرزق و رفيقته في السفر ، و الناقة معروفة بالصبر و التحمل العطش .

3-1 – عروة بن الورد :

إتخذ الشاعر صورة الناقة ليعبر بها عن القوة و الشدة و تحمل مصاعب الحياة و شبه هذه الصورة به هو لما يراه كيف كان الإنسان الجاهلي يعيش في فقر و جوع و هو متحمل مصائب الحياة و كان عروة مراده أن يساعد الناس ، فإتخذ صورة الناقة التي تعطي اللبن و الوبر و اللحم ووصفها بالشدة و القوة ووصف أيضا أن هناك علاقة بين الناقة و القدر ، ووصف القدر بالناقة في تحدر بها و ما تحمله في جوفها وشبه الرحل بالأتافي التي توضع عليها القدر ، ووصف الناقة بالصرماء التي ذهب لينها و تشتد قوتها يقول عروة :

و إذا ما يريح الحي الصرماء جوفه ينوس عليها رحلها ما يحـــــلا

موقعه الصفتين حدباء شـــــارف تقيد أحيانا لديهم و ترحـــــــل [1]

ووصف عروة الناقة بالألم التي تلبي إحتياجات أبنائها الكل ، كذلك الناقة لحمها يلبي جميع المحتاجين ، لهذا شبهها بالقدر و الممتلئ يقول :

مضيغ من النيب الهسان و مسخن من الماء ،تعلوه بأخر من عـــــل

فإني إياكم كذي الأم أرهـــــــنت له ماء عيشها تخدى و تحمـــــــل [2]

كما وضع لناقة صورة تحمل و الصبر مثل صورة الفقير ، ووصفها أيضا بصورة الكرم التي تعد صفة العرب رغم قسوة الحياة و جدب الصحراء و إنتشار الفقر إلا ان الكرم سجية العرب متأصلة في نفوسهم يقول :

أفي ناب منحناها فقيـــــرا له بطنا بنا طبب مصيـــــت

وفضله سمنة ذهبت إليـــــه و أكثر حقه ما لا يفـــــــوت [3]

1- عروة بن الورد ، ديوانه ، ص 91 .

2- المرجع نفسه ، ص 92 .

3- المرجع نفسه ، ص 49 .

2-3 – السليك بن السلكة :

كذلك اتخذ سليك بن سلكة الناقة ووصفها بالقوة و التحمل و الصبر و شبهها بالإنسان فقير ،و صور حياته مثل صورة الناقة التي تتحمل الحياة الصحراوية ، و الناقة تلازم الإنسان في حياته و شبهها هو أيضا بالقدر الممتلأ ، و القدر الفارغ فإن كانت ممتلئة لبت جميع احتياجات الناس و إذا فرغت جاع الناس كذلك الناقة وجعل الناقة هي الملجأ الوحيد التي يرجع إليها الإنسان إن جاع لما تحتويه من لحم ووبر و لبن و يقول :

إذا أرملوا زادا عقرت مطية تجر برجلها السريح المخدما [1]

وصفها هنا أنه إذا نفذ زادهم ذبحت الناقة ليأكلوا منها .

3-3 - الشنفرى:

ونجد أيضا أن الشنفرى ووصف صورة الناقة بالقوة و الصبر ، ووصف الناقة على أنها تحمل حركة التنقل و حمل الأرحال و الاثقال و أنها بنيت على الحركة و التنقل و الترحال ، فيقول :

إذا أمعز الصوان لاقى مناسمي تطاير منه قادح و مفلل [2]

ووصفها هنا بسرعة و قوة قدميه أثناء السير و صور سيره عند تطاير حجر الصوات من تحت قدميه ، وهذه الصورة تبرز قوة قدميه مما يدل على قوة و تحمل الناقة الصعاب التي تواجهها .

1- سليك بن سلكه ،، ديوانه ، ص 97 .

2- الشنفرى ، ديوانه ، ص 58 .

3-4 عمرو بن البراقة :

ونجد ان عمرو بن البراقة عبر عن الإبل ووصفها بالسمينة التي ترعى كثيرا فتسمن ، و عبر عنها على أنها هي مأوى الصعاليك هي التي تبلي جوعهم ، و تشاركهم في مصائب الحياة لما تتحمله من صبر وقوة يقول :

تحالف أقوم على ليسمنوا وجروا علي الحرب إذا أنا سالم [1]

وفي هذا الموقع اخر وصف بعيره بالسرعة عدوه و شبه عدوه و سرعته بسرعة صغيرة فيقول :

حبكت ملاءتي العليا كأني حبكت بها قطاميا هزيلا

و كأن ملاءتي على هجف أحسن عشية ريحا بليلا [2]

3-5- تأبط شرا :

أما وصف الإبل عن تأبط شرا و صفها على أنها بواكرا إي الإبل التي تخرج بكرة النهار وهذه الصورة التي تعبر عن أن الإبل تخرج من بكرة النهار من أجل المرعى أن البحث عن الأكل و المشرب و شبه هنا بنفسه أنه إنسان جائع يخرج بكرة من أجل البحث عن الطعام و انه سالك نفس سبيل هذه الإبل ووصفها أيضا بأنها سريعة العدو مثله هو يقول :

و أن سوام الموت تجري خلالنا روائح من أحدائه و بواكر [3]

1- عمرو بن البراقة ، ديوانه ، ص 61 .

2- المرجع نفسه ، ص 79 .

3- تأبط شرا ن ، ديوانه ، ص 74 .

3 -6 - قيس بن حدادية :

لقد وصف قيس بن حدادية الناقة بأنها صلبة غليظة ، و أنها ناقة صبورة تتحمل مشاق الطريق عند السفر ، الشدة على ووصفها بأنها رفيقه في السفر، تربط بينها علاقة عاطفية ، وصورة الناقة عكست في مجملها ، الصورة الأصلح و الأقرب للذات الشاعر ، في رمز للصحبة و الرفقة ، التي تتميز بقوة صبرها و شدتها يقول :

عيرانة عنتريسا ذات معجمة اذا الضعيف ونى في السير أو رجسا

تجتاب كل مطاناء مسافته ومهمه ما به حبسى لمن حبســـــــا [1]

3-7 أبو الخراش الهذلي :

ونجد وصف الناقة عند أبو الخراش أنه ينصح زوجته أن تتقن في إسراف ما أهدى لها من طعام حتى لا يأتي يوم فتطلب الطعام ، فلا تجد منه جوابا سوى تمسك فمها عنه لأنه فيقر لا يملك ما يطعمها من شدة الفقر و الجوع ، لذا استعمل لفظة البعير ، فالبعير يتصف بالصبر و القوة و الشدة التحمل لذا أعطى صورة البعير في شعره دلالة على الصبر و تحمل الجوع يقول :

لقد علمت أم الا ديبير انـــــي اقول لمها هدي و لا تذخري لحمي

فإن غدا أن لا نجد بعض زادنا نقـــــيء لأزدا و نعـــــــد بالازم

إذا هي حنت للهوى حن جوفها كجوف البعير قلبها غير ذي عـــزم [2]

1- عشرة شعراء مقلون ، ص 35

2- شرح أشعار أبي سعد الحين بن الحسين السكري ، ص 1195 ، ص 1196 .

4- الثور الوحشي :

4-1 – قيس بن حدادية :

قد وصف الشاعر البقر الوحشي في شعره فوصفه بصورة قريبة وهو ملتف بأغصان شجرة يستند فيها و يريد الحماية منها وهو يعاني أشد المعاناة في الحياة و الغرض من وصفه هو أن الثور الوحشي يمثل الشاعر الذي يعيش حياة الصعلكة و التي تمثل معارك و صراع الإنسان و كفاحه في الحياة و لقد ذكر في كفاحه في الحياة ولقد ذكر ذلك من خلال قوله :

وبات ضيفا لأرطاة يلوذ بها في مرجح نمرته الريح فانجيسا [1]

4-2 تأبط شرا :

لقد استعمل الشاعر صورة البقر في شعره و ذلك لأن البقر الوحشي كان طعاما ستدركه الحيوانات البرية و بخاصة الضياع التي تشم رائحة الجثث ، وذلك بسبب طبيعة الحياة التي فرضت أهلها الخوف من تلك النهاية ، نهاية الثور الوحشي ، بين أسنان الضباع و كذلك هي حال الصعلوك الذي يصارع من أجل البقاء و الكفاح من اجل العيش لكن في بعض الأحيان يكون طعاما للضباع ، و ذلك من خلال قوله:

و لقد علمت لتغدون على يشم كالحسائل يأكلن أوصالا و لحما كالشكا على غير جادل [2]

1- قيس بن الحدادية ، ينظر الأخفش ،الإختيارين ، ص 224

2- تأبط شرا ، ديوانه ، ص 195 .

4- 3 – عمر ابن البراقة الهمداني :

لقد ذكر الشاعر عمر ابن البراقة الهمذاني البقر في شعره و ذلك من خلال تشبيه النساء بالبقر في الحرب لأن البقر تتميز بالشجاعة و معرفة إدارة المعركة ، وشدة التحمل و قوة البأس ، و قوة الحدس إضافة إلى الصراع الكثير ، وكذلك هو الحال للنساء في الصعاليك فهن يتميزن بالحنكة و قوة و الحدس و شجاعة و يتخلص القول أنها تصارع من أجل البقاء و المكافحة من أجل الحياة و يتجلى قول ذلك من خلال البيت الأتي :

كأن نساءهم بقر مراج خلال شقائق تطأ الوحـــولا [1]

4-4 – الشنفرى :

إن الشاعر وصف بابنة الرمل وهي البقرة الوحشية التي تمشي برقة حتى يؤلمها المشي بلا نعل و هنا يقصد الشاعر معاناته في حياة الصحراء و صراعه من أجل البقاء و يتجلى ذلك من خلال قوله :

فإما تريني كابنة الرمل ضاحيا على رقة أحفى ولا أتغـــل [2]

1-عمر بن البراقة الهمذاني ، ديوانه ، ص 79 .

2- الشنفرى ، ديوانه ، ص 68 .

5- الأسد :

5-1 الشنفرى :

إن الأسد رمزا للبطش و التسلط و عنوانا للسيطرة و السمو و العظمة ، و هنا ذكر الشنفرى صورة الأسد شبه بنفسه لأنه من خلال هذه الصورة ، يعبر على غزوه و أعدائه بالفخر و الشجاعة بنفسه حيث يقول :

هم عرفوني ناشئأ ذا مخيلة أمشي خلال الدار الأسد الورد [1]

وقد عد الشنفرى الأسد موضوع في صورته الشعرية يرى من خلاله أعز أصحابه و أقربه إليه من بني الإنسان و يضفي عليه صورة الفتوة و النور و الضياء يقول :

سراحين فتيان كأن وجوههم مصابيح أو لون من الماء مذهب [2]

وقد وصف الشنفرى الأسد بصورة القطيعة مع القبيلة و القوم ، بالحرية و العيش على إنفراد بعيد عن القبيلة ، وهو حي وفضل أن تستمر هذه القطيعة حتى بعد موته لقد أوصى الذين أسروه و هموا بقتله ،أن لا يدفن مع بني البشر ،وإنما يقدم طعاما للضباع لأنهم هم أفراد عائلته الجديد .

5-2-عروة بن الورد :

وصف عروة بن الورد الأسد بصورة كاملة و صفه بطبائعه و عاداته وقد وصفه عروة بالقوة و الشجاعة و صوره على أنه عريض الساعدين ، عريض الصور ،رابض فوق أجمة يتساقط قصبها فوق ظهره سريع في اصطياد فريسته ، أما زئيره فهو يشبه الرعد ، وقد صور الأسد هنا لدلالة على القوة و الشجاعة التي يتميز بها الشاعر الصعلوك قال عروة :

1- الشنفرى ، ديوانه ، ص 42 .

2-المرجع نفسه ص 28 .

تبغاني الأعداء إما إلى دم و إما اعراض الساعدين مصدرا

بطل الأباء ساقط فوق متنه له العدوة الأولى إذا القرن أصحرا

كأن خوات الرعد رز زئيره مـــــــن اللاء يسكن الفريق بعثرا [1].

3-5- صخــر الغـــي :

و أما صخر الغي وصف الأسد بكلمة شجاع و دائم النشاط بكلمة خصاص وصفه بشجاع تشبيها به فهو يرى نفسه شجاع بشجاعة الأسد ، و أنه يمتلك قوة بنفسه لا يحتاج إلى من يساعده ، فهو يرى أن قوته و شجاعته تكمن في بعده عن القبيلة ، وقد وصف الأسد بالشجاع عند اصطياده لفريسته لقيامه بهذا نشاط وحده دون الإعانة بالغير لذا يتميز الأسد بالشجاعة و القوة يقول :

به أقم الشجاع له حصاص من القطين إذا فر الليوث [2]

1- عروة بن الورد ، ديوانه ، ص 55 ،56 .

2-صخر الغي ديوانه ، ص 262 .

6- الضبع :

1-6 تأبط شرا :

إن حال الصعلوك الذي يمضي مكبا على وجه الأرض الواسعة ، لا يبالي لأنه غير مرتبط و لا مقيد لقد فك قيود المجتمع القبلي ، و تحرر من السيطرة سلطة الشيوخ و الأسياد يتباهى و يتفاخر بالضبع على تمكنه من قتل أعدائه و دحرهم فتأخذ تأبط شرا بالضبع بصورة ليتباهى بالنشوة و النصر ، وكلهم في سرور بقتلى "هذيل" ، سرور الضبع لأنهما سيجد في القتلى كثرة غداء يقول تأبد شرا :

تضحك الضبع لقتلى هذيل و ترى الذئب لها يستهل [1]

و لهذه الصورة يعني تأبط شرا لاتصاله بالوحش لأنه جاور الغول و هو يصف لقاءه إياها ، في قوله:

فأصبحت و الغول لي جارة فيا جارتا أنت ما أهولا [2]

وقد وصف تأبط شرا الضبع بهذه الصورة وقد وصف تأبط شرا الضبع بهذه الصورة لأنه ألفه واستأنسه و هذا ما يدل على قوة تأبط شرا و ثباته ، وقد اتخذه بصورة مسكنة بديلا عن القبيلة و القوم.

2-6- الشنفرى :

قد وصف الشنفرى الضبع بالقوي و السريع و كثيف الشعر طويل العنق و تشكل هذه الصورة صورة الحرية عند الشنفرى و الثورة على الجماعات البشرية المحيط به ، و الإنتهاء إلى المملكة الحيوانية ، و بمفرده تكمن شجاعته وهي اشارة إلى سادة القبائل الذين يستعبدون غيرهم، و بخاصة ضعفاءهم و يسلبوهن حقوقهم : يقول الشنفرى :

وكل أبي باسل غير أننـــــــي إذا عرضت أولى الطرائد أبســـل

و إن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم ، إذ أجشع القوم أعجـــل [3]

1-ديوان تأبط شرا ، ص 181-182

2-المرجع نفسه ، ص 63-64

3-الشنفرى ، ديوانه ، ص 65

ووصف الشنفرى الضبع بهذه الصورة لأنه ألفه واستأنسه و صار منه وارتبط به يقول :

ولي دونكم أهلون سيد عملس وارقط ذهلول و عرفاء جيال [1]

وقد وصف الشنفرى الضبع لما ألقه بينه و بين الضبع و نشأت حكايات و أحاديث حميمة ، و انه أصبح الضبع من قومه و عشيرته الجدد ، و أصبح ضمن عالمه الجديد .

3-6- أبو الخراش الهذلي :

فاتخذ أبو الخراش الهذلي الضبع في شعره لأنه يعبر عن الحرية فالضبع يعيش بعيد و يتجنب التجمعات و هذا يصف حياته هو الصعلوك الذي يعيش مجتنبا قانون القبيلة ، ووصفه أيضا أنه يعبر عن الحياة القاسية التي يعيشها الضبع الدالة على التشرد ، ووصفه أيضا على انه يعيش حياة الحرية يقول : فوالله لولا غير موثق لابك الجزع الضباع النواهل[2] .

4-6 –قيس بن حدادية :

اتخذ قيس بن حدادية الضبع بصورة التشرد و الجوع التي تعبر عن صورة الصعلوك و حياته و قد وصف الضبع الجائع بالملتهف و أن الضبع يجول في الصحراء من أجل البحث على الطعام ، ووصفه على انه تجرد من النظام القبلي ليتحرر و يلبي جوعه في البحث في الصحراء ووصف الضبع على انه يحمل سلوك تنافي مشحون بشدة الحاجة يقول :

وتجر مجرية لها لحمي إلى أجر حواشب .

سود سحاليل كأن جلودهن ثياب راهب .

ينزعن جلد المرء نزع القين أخلاق المذاهب[3] .

ومن هذه الأبيات يصف الضبع لم تجر الجسد كله لأنه المعركة تنافسية للحصول علة قطعة من اللحم .

1-الشنفرى ديوانه ، ص 59 .

2-شرح أشعار الهذليين ، ج 3 ، ص 1222 .

3- المرجع نفسه ، ص 1222

7 – الذئب :

تأتي علاقة الشاعر الصعلوك بالذئب في إطار العلاقة بالطبيعة التي أوجدت هذا الحيوان الصحراوي واكسبته طابعا خاصا .

1-7 – الشنفرى:

قدم الشنفرى صورة رائعة للذئب ترتبط بحياة الشاعر التي قضاها في التشرد إذ يرسم نموذجا إنسانيا راقيا للعلاقة الوثيقة التي تربط الإنسان ببيئته ، بكل ما تحمل من مصالحه ونزرع نحو الإستقرار حيث يقول في وصف الذئب الجائعة :

و أعدو على القوت الزهد كما غدا أزل تهاداه التنائف أطحـــــل

وغدا طاويا يعارض الريــح ها فيا يخوت بإذناب الشعاب و يغسل

فلما لواه القوت من حيث أمـــــه دعا فأجابته نظائر نحـــــل [1]

وصف لنا الشنفرى الذئاب الجائعة و شبه هذه الذئاب بحياته التي عاش حياة الصحراء و قحطها كما عاشها الذئب و بين لنا الجزع و التأسي بالصبر كما أنه أحس التصوير و جعله واضحا مشخصا، حيث أن الذئب كان يبحث عن قوته في جوف الصحراء و الشنفرى وصف نفسه أنه يظل يعدو على القوت مثل الذئب ، و طراد الفرائس ، و اتخذا الشنفرى الذئب لأنه من الحيوانات التي تمارس الإحتيال.

و في الهجوم موضع أخر يجعل من هذه الذئاب الجائعة مقابلا لنفسه البائسة ، و جسده الجائع فكلاهما وقع عليه غضب الطبيعة ، وضح بالبكاء ، حيث يقول :

فضج وضجت بالبراح كأنهـــــــــا و إياه نوح فوق علياء ثكـــــل

و أغضى و أغضت و اتسى و اتست به مرميل عزاها و عزته مرمـــل

شكاو شكت ثم ارع موى بعدوا رعوت و للصبر إن لم ينفع الشكو أجمل [2]

1-الشنفرى ديوانه ، ص 181-182 .

2-المرجع نفسه ، ص 63 ، 64 .

بين هذا أن الذئب و الشنفرى شريكان في المعاناة يتبادلان الشكوى بينهما لذلك جاء استعصى مهما بالصبر نتيجة حتمية لقسوة الطبيعة عليهما ، ورغبتهما و و تشددهما بالحياة ومنه يتضح أن الذئب ارتبط بالجوع و الفقر فجوع الشنفرى وفقره أسقطه على الذئب ، فصورة الذئب تعبر عن واقع الفقر و الجوع و التشرد ، الذي كان يعاني منه الشنفرى بسبب القحط و الجدب و الجوع و التشرد .

7- 2 – تأبط شرا :

فبين تأبط شرا كيف يحاور الذئب محاورته للصاحب و أنيسه مما يعكس فعلا إنسانيا راقيا ، و علاقة حميمية تربطه بالذئب الذي لازمه في حله و ترحاله و يواسيه ووصف تأبط شرا الذئب الذي لازمه في حله و ترحاله و يواسيه ووصف تأبط شرا الذئب بصورة الصاحب لما لأنه جزء من معاناته و تشرده في الصحراء فالذئب كان يجول في الصحراء كذلك تأبط شرا يصف تشرده في الصحراء يقول:

و قربة أقوام جعلت عصامها　　على كامل مني ذلول مر حـــل

وواد كجوف الهير قفر قطعته　　به الذئب يعوي كالخليع المـعيل

فقلت لهما عوى إن شأننـــا　　قليل الفنى إن كنت لما تمـــول

كلانا إذا مانال شيئـــا فاته　　ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل [1]

فصور لنا تأبط شرا صورة إنسانية بالغة الدقة لما ألة إليه أحواله ، فهو مقامر لا يبالي أفعاله ، وما سيقوده ، استمرار فعله من بؤس لمن يعيل من ذئاب ، مما جعله يتشابه مع شخصية الشاعر المتمردة التي لا تجدها تسد به مقها و لأرمق رفاقها من الصعاليك .

1-تأبط شرا ، ديوانه ، ص 65 .

8- الحمار الوحشي :

8-1- أبوخراش الهذلي :

إن الشاعر وصف الحمار الوحشي في شعره والذي يتضح في تضحيته بروحه فداء لأتنه ، فهو بطبيعة متسلط شديد الغيرة يحمي عائلته الدهر كله ، وهو يراقب رعاياه إلى الماء من كل خطر يحوم عليها ، ويتفقدها ما حوله ، فإن كان آمنا دعا أتنه ، و إن كان غير ذلك لم يتمكن من عودتهن ، كذلك هو الحال بالنسبة للصعلوك فهو شديد الغيرة و شديد التضحية من أجل عائلته و يحاول جعل ذاته درعا لعائلة ، وذلك من خلال قوله :

و كان هو الأدنى فخل فؤاده من النيل مفتوق الغرار بجيل [1]

8-2 – صخر الغي :

لقد ذكر الشاعر صورة الحمار الوحشي الذي كان ذكر ين دون القطيع فوصف حالهما وذلك من حرص الحمار على النجاة أن النجاة أن يبالغ في الإبتعاد عن مصدر القرع فلا يمسك عن العدو حال إختفاء آثار القانص ، ولابد أن يكون وراء هذا العدو قدرا كبيرا من الذعر يغذيه بالطاقة و العزيمة و لأن الحمار الوحشي دائم الحذر و التيقظ فهو كذلك شديد التضحية فقي قول الشاعر في وصف الحمار الوحشي :

فياتا يأملان مياه بـــــدر وخافا راميا عنـــــــه فحاما

فجاء اوار دين فأنســـاه تخال سواد لمنة بـــــــراما

فراغا ناجين فقام يرمــي فأنت نبله قصـــــــدا حطاما

فباتا يحييان الليل حتـــى أضاء الصبح مبتجـــلا و قاما [2] .

1-شرح أشعار الهذليين ، ج 3، ص 1193..

2-المصدر نفسه ، ج 1، ص 289 ، 291 .

الخاتمة

خاتمـــــــــــة :

وختاما قد استمتعنا ونحن نجول في شعر الصعاليك ، فخرجنا مع هؤلاء الصعاليك الشذاذ ، لنرى روعة الصحراء رفقة الحيوانات التي اتخذوها في شعرهم ، ذكاء غاراتهم ، قيمة تلك الحرية التي خلقت من المعاناة ، و استخلصنا من كل هذه المجموعة من النتائج :

- ✓ كان اولها دخولنا في أعماق نفوس الصعاليك لنلمح افكارهم و شخصيتهم ، حقيقية تصعلكهم .
- ✓ اتضح لنا في هذه الدراسة بيئة الصعاليك بكل مكوناتها بينت لنا بذور الظلم و الإهانة و الاستبداد في مجتمع تحكمه أعراض الجاهلية عد هذا من الأسباب الصعلكة .
- ✓ شاعر صعلوك كان يعيش في براري الصحراء و يجول أراضيها بالخيل مما جعله يتخذ الخيل في شعره و يعبر به عم مدى صداقته و عن الصداقة.
- ✓ كان شاعر الصعلوك يتمتع بالقوة و الشجاعة فاتخذ الأسد و الذئب و الضبع معبرا عن هذه الصفة التي يمتلكها.

  لأنه يرى هذه القوة في هذه الحيوانات.
- ✓ كانت معيشة الصعاليك جد مزرية فكان يتحلى بالصبر و التحمل مما دفعه يعبر و يمثل نفسه بالناقة التي تحمل هذه الصفات.
- ✓ استنتجنا أن شاعر الصعلوك كان يعيش في صراع مع بيئته و أهله هذا ما دفعه يعبر في شعره عن هذا الصراع بالثور الذي يكافح و يصارع من أجل الحياة.
- ✓ بينت هذه الدراسة لنا أن شاعر الصعلوك عاش حياة التضحية فشبه هذا بالحمار الوحشي الذي يتسم بهذه الصفة من أجل البقاء

الملخص

ملخــص :

- ✓ إن شعر الصعاليك هو جوهر الفن ولد في لحظات توتر حادة من جماعة كانت تعيش على حافة المجتمع فكان للحيوان دور كبير في شعرهم للتعبير عما يدور في نفسيتهم.
- ✓ فكان للموازنة دور في إستخراج أوجه التشابه بين الشعراء في وصف الحيوان، إعتمادا على خطة مكونة من مقدمة و مدخل و فصلين و خاتمة، المدخل كان يتناول تعريف الصعاليك و أسمائهم و أغراض شعر الصعاليك، و الفصل الأول تناولنا فيه دوافع شعر الصعاليك، و النظام الاجتماعي للحيوان و الفصل الثاني تناولنا فيه وصف الحيوان لدى الشعراء و موازنة بين الشعراء و خاتمة حاولنا من خلالها استخلاص بعض النتائج التوصل اليها و تخطينا الغموض.

Summary p:

- ✓ The poetry of tramps is the essence of art he was born in moments of acute tension from a group that lived on the edge of society

  The animals had a big role in their poetry to express what was going on in their psyche.

- ✓ The balancing act had a role in extracting the similarities between poets in describing the animal, depending on a plan consisting of an introduction, an entrance, two chapters and a conclusion, the entrance was dealing with the definition of trampics and their names and the purposes of the poetry of tramps, and the first chapter dealt with the motives of the poetry of tramps, and the system The social aspect of the animal and the second chapter in which we dealt with the description of the animal among the poets and a balance between the poets and a conclusion through which we tried to draw some conclusions to reach them and overcome the ambiguity.

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع :

1-المصادر :

1-القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، الآية 38 تلاوة ورش ،بيروت - لبنان.

2- إبن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي ، لسان العرب ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، دار صادر للطباعة ، و النشر ، 2000 ، مصدر .

3- ابن خلدون ، مقدمة ، تحقيق عبد الوافي ، ج1 ، نهضة مصر ، القاهرة – مصر ،ط 3 ، د ت .

4- أبو الخراش الهذلي ، ديوانه ، غازي الهذلي ، خالد الهذلي ، دار القلم العربي ط1 ، حلب – سوريا ، 1996 .

5- أحمد محمد شاكرو عبد السلام هارون ، المفضليات ، ط4 ، دار المعارف مصر 1942 .

6 – أحمد سويلم ، شعرنا القديم ، رؤية عصرية ، المجلس الأعلى للثقافة ،مصر،1979.

7- ادواردو سترمارك : قصة الزواج ، ترجمة عبد المنعم الزيادي مكتبة النهضة ، مصر ، د، ط ، د ت .

8-الأصفهاني ، أبو الفرج على بن حسين بن محمد بن احمد ،الأغاني ، ج3، ج13، ج18، ج 20، ج21 ، مذبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة 1929 .

09-السليك بن سلكة ديوانه ، طلال حرب ، الدار العالمية ط،1 ، 1993.

10- الأعشى ، ديوانه ، تحقيق محمد حسين ، مكتب الشرقي ، بيروت - لبنان 1968.

11- الأمدي ، أبو القاسم الحسن بن البشر بن يحي ، المؤلف و المختلف ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، 1996 .

12- الجاحظ الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ،ج 3 ، ج 4، 7 ، دار الجيل بيروت – لبنان ، ط1، 1991 .

13- الشنفرى ، ديوانه ، طلال حرب ، الدار العالمية ،ط1 ، بيروت – لبنان ، 1993.

14 – الشنفرى عمرو بن مالك ، ديوانه ، جقعه إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي،ط2 ،بيروت – لبنان ، 1996 .

15- الفيروز الأبدي : مجد الدين محمود بن يعقوب ، القاموس المحيط ،مصدر لبنان، د ت.

16- تأبط شرا ، ديوانه و أخباره ، علي ذو الفقار شاكر ، ط1 ، 1984 .

17- حسين مروة ، النزاعات المادية في الفلسفة العربية ، ج1 ، دار الفرابي ، بيروت – لبنان ، 1979 .

18- حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر الأموي دار المعارف مصر ،1970.

19- جون بول سكوت ،سلوك الحيوان، مترجم إبراهيم سليمان عيسى ، دار هبة النيل للنشر و التوزيع ، مصر 1998 .

20- عبد الحليم الحنفي ، شعر الصعاليك ، الهيئة المصرية للكتاب ، د ط ، مصر 1979 .

21- عروة بن الورد ، ديوانه ، تحقيق د سعدي ..... ، دار الجيل بيروت ، ط1 ، 1996 .

22- عروة بن الورد ، ديوانه ، الدار العالمية ط 1 ، بيروت – لبنان، 1997.

23- عروة بن الورد ، ديوانه ، تحقيق أسماء أبو بكر محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، 1998 .

24- عمرو بن البراقة الهمداني ، سيرته و شعره ، شريف علاونة ، ط1 ، الأردن ،2005 .

25- عز الدين عيسى ، لغة الحيوان ، مجلة عالم الفكر : مج 7 ، ع 2 ، الكويت ،1976 .

26- فانس باكارد ، الجانب الإنساني عند الحيوان ، ترجمة سعد غزلان ، دار الفكر العربي د ، ط ، دت .

27 – محمد أحمد دالي ، الكامل ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، 1997 .

28- محمد النوهي ، الشعر الجاهلي ، منهج في دارسته و تقويمه ، دار القومية للطابعة و النشر ، د، ط ،دت .

29 – محمود محمد عبد العزيز ، الجمل العربي ، مكتبة الإشعاع ، ط1 ، مصر 1999 .

30- يحي الجبوري ، قصائد جاهلية نادرة ، ط1 ، مؤسسة الرسالة بيروت ، 1982 .

الفهرس

الرقم	العنوان	رقم الصفحة
	مقدمة	**1**
	مـــدخـــــــل:	3
-1-	تعريف الصعلكة:	3
-1-1	لغة:	3
-2-1	اصطلاحا:	4
-2	أخبار الشعراء:	5
1-2	شعراء الصعاليك أسماؤهم و أخبارهم	6
-1-1-2	عروة بن الورد:	6
2-1-2	تأبط شرا:	6
3-1-2	السليك بن السلكة:	7
4-1-2	الشنفرى :	7
5-1-2	قيس بن الحدادية:	8
6-1-2	- صخر الغي:	8
7-1-2	أبو الخراش الهذلي :	8
8-1-2	عمر بن البراقة الهمذاني:	9
3	أغراض شعر الصعاليك:	9
1-3	الفخر:	9
2-3	الإعتزاز بالقبيلة:	10
3-3	المـــــــــدح:	10

4-3	الهجـــــــــاء:	11
5-3	الرثـــــاء:	12
6-3	الغـــــــزل:	12
الفصل الأول		
	الفصل الأول	15
	المبحث الأول :	15
1	دوافع ظهور الصعاليك في العصر الجاهلي	15
1 -1	دافع الفقر	15
2-1	دافع الخلع :	17
3 -1	الدافع الإجتماعي :	18
	المبحث الثاني :	21
1	سلوك الحيوان في شعر الصعاليك.	21
2	النظام الإجتماعي :	21
1 -2	سلوك التجمع :	21
2 -2	الأسرة الحيوانية :	22
3-2	العلاقة الحميمية:	24
3	السيطرة :	26
1-3	الإمتلاك الجغرافي :	26
2-3	القيادة :	27
3-3	نفي الشركاء :	30
4-3	الوحدة و التفرد :	31
	الصراع :	31
1-4	المطاردة و الافتراس :	31

2-4	الاحتيال و التخفي :	33
3-4	العدو و الفرار :	34
الفصل الثاني		
	الفصل الثاني	36
	المبحث الأول : صورة الحيوان في شعر الصعاليك .	38
1	وصف الطيور :	38
1-1	صخر الغي :	38
2-1	وصف العقاب :	39
1-2-1	صخر الغي :	41
3-2-1	أبو الخرش الهذلي :	42
3-2-1	–تأبط شرا :	42
4-2-1	الشنـــــــــفري :	42
5-2-1	عمرو بن البراقة :	44
6-2-1	أبو الخراش الهذلي :	45
2	وصف الخيل :	46
1-2	الشنفرى :	46
2-2	تأبط شرا :	47
3-2	عروة بن الورد :	47
4-2	عمرو بن الالبراقة :	47
5-2	السليك بن السلكة :	48

6- 2	قيس بن الحدادية :	49
7-2	صخر الغي :	49
3	النـــــاقـــــة :	50
1-3	عروة بن الورد :	50
2-3	السليك بن السلكة :	51
3-3	الشنفرى:	51
4-3	عمرو بن البراقة :	52
5-3	تأبط شرا :	52
6	قيس بن حدادية :	53
7-3	أبو الخراش الهذلي :	53
4	الثور الوحشي :	54
1-4	قيس بن حدادية :	54
2-4	تأبط شرا :	54
3 -4	عمر ابن البراقة الهمداني :	55
4-4	الشنفرى :	55
5	الأسد :	56
1-5	الشنفرى :	56
2-5	عروة بن الورد :	56
3-5	صخـــر الغـــــي :	57
6	الضبع :	58
1-6	تأبط شرا :	58
2-6	الشنفرى :	58
3-6	أبو الخراش الهذلي :	59

4-6	قيس بن حدادية :	59
7	الذئب :	60
1-7	الشنفرى:	60
2 -7	تأبط شرا :	61
8	الحمار الوحشي :	62
1-8	أبوخراش الهذلي :	62
2-8	صخر الغي :	62
	خاتمـــــــــــة :	64
	ملخــص :	66
	المصادر و المراجع :	71
	المصادر و المراجع :	75